


وائل رجب

# الأعمال الكاملة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

# كتابات جديدة

# داخل نقطة هوائية

---

وائل رجب

# إلــى أبــى

‹‹ارتطمتُ بالسقف››.

‹‹على أنفى، أول مُلامس لقشرة البياض، انغرزت ضفيرة السلك الموصل بين مفتاح النور واللمبة البيضاء››.

‹‹من جبهتى، سقطت بعض النقط الدموية على منحدر وجهى إلى ذقنى ثم اتصلت بالسلك النازل››.

‹‹بدأ الضوء يأخذ اللون الأحمر. هاموش الضوء الصغير اللزج كان يدور ويتزجزج حول الضوء››.

# صوت الكاميرا.. تك.. تك

**استيقظ** محمد يوسف ليجد أن الفجر قد بدأ يخترق الفتحات الموجودة فى الستارة القطيفة المعلقة على الشباك المواجه لسريره. ابتسم ابتسامة الرضا والعرفان لفضل الله الذى أنعم عليه بالعقل ليختار زوجته رتيبة - ابنة عمه فى نفس الوقت - لكى تلازمه طيلة أيام عمره. لم يطلب منها أن ترقّع الستارة وهى لم تفعل ربما لأنها أدركت أن زوجها يهوى سقوط بقع الضوء على وجهه مثلما يرفع رأسه إلى السماء ليشاهد السحاب متناثراً فى الأفق.

ظل يستمتع بهذا الإحساس لبضعة دقائق وزادت سخونة مشاعره عندما ارتفع صوت المؤذن فى أذنه. أحس أن الشجرة العتيقة التى ترتكز إلى جدار منزله بدأت تهتز لهذا الجو الذى يملأ المكان. أحس أن النساء بدأت تهتز أكثر فى صدور الفلاحين الذين يسكنون فى ريحه. وبدأت حركة لسانه تزداد توتراً وترتيلاً للأدعية الصوفية...

«الله يخرب بيتك يا شيخ خليفة». في وسط كل هذه التدفقات الروحانية، جاءت حشرجة الشيخ وبصقه على الأرض لتعود بمحمد يوسف إلى حجرته ذات الجدران الأربعة. «إذا كان الشيخ خليفة صحّانا بعملته المهببة دي يبقى على الأقل نقوم نصلى بدل ما إحنا نايمين كده».

أنزل قدميه من على السرير إلى الأرض ووجد البلغة في المكان الذى تركها فيه بالأمس. ترك السرير واتجه إلى معركته اليومية مع باب الغرفة الذى يحتاج إلى صدمة عنيفة لكى تقطع التصاق درفتيه. دخل إلى الصالة الكبيرة التى تتوسط المنزل وبدأ يوزع نظراته على جوانبها ويراقب حركة الشغالات التى بدأت تعطى للبيت صفته النهارية. ما زالت بقع الشوربة تترك آثارها على الجدران، كل الألوان كانت موجودة بدرجاتها المختلفة مما يدل على اهتمام هذا البيت بالصحة البدنية لأفراده.

«مش عارف إمتى حتتعلم أم الخير تجيبلى الأكل سخن زى ما أنا عاوزه، ولاً يمكن عايزانى أبقع الحيطة بيها هى، يجوز برضه... أما نشوف آخرتها معاها إيه الولية دى». يتناول عصاه العزيزة على قلبه، هذه العصا المنحنية هى الشئ الوحيد الذى لا يعانده. فهى تحتاج إلى محمد يوسف ولا تستطيع الاستغناء عنه فى حركتها، فيما عدا ذلك تبقى منسية على الحائط الخارجى للغرفة. يدق بطرف العصا على الأرض دقتين يغطى صوتهما على صوت المواشى التى بدأت تستيقظ

فى الزريبة المجاورة للبيت. تشتد التحركات الطولية والعرضية والجانبية فى أرجاء البيت. يتجه إلى الكنبة المجاورة لباب الدار، يستوى عليها وينادى بعلو حسه «يا بت يا سماسم هاتى الطشت والإبريق عشان أتوضا» . تأتى الفتاة مسرعة خوفاً من أن يصيبها طشت الماء الساخن فى وجهها. يبدأ فى تلاوة الأدعية والوضوء، ينزلق الماء على ذراعيه، يملأ الماء شعر رأسه ويأخذ فى التساقط على جلبابه الأزرق حتى يكاد حجره يمتلئ بالنقط المتناثرة. يرفع رأسه إلى سماسم، كم هى جميلة هذه الصبية، بضة، يمتلئ وجهها الأسمر بجمال أيام صباه عندما كان يسرح فى غيطان أبيه وما يليها من غيطان أعمامه ليتصيد الفلاحات وهن فى طريقهن للرياح الكبير الذى يحد بلدتهم لملء الجرار. كانت أنسب أيام السنة لهذه الغزوات أواخر الصيف وأوائل الخريف عندما ترتفع عيدان الذرة ويبدأ الأرز فى تبيين سنابله. يبدأ هو فى نثر بذرته. هو ابن صاحب الأرض تدين له نسوة البلد بمعرفة الجنس الذى يمارسه أهل البندر الذين كان يعاشرهم محمد يوسف عندما كان يذهب إلى مصر لبيع محصول القطن مع والده. «صحيح أما كانت أيام ياواد يا محمد يا يوسف. على رأى ابن عمك، الواحدة منهم كانت أول مرة بس تتمنع وبعد كده كانت بتيجى على طول» .

أفاق على صوت الطشت وسماسم تسحبه بعيداً عن أقدامه وتتناغم حركة أردافها مع اهتزاز الماء فى الطشت وتساقط بعض النقط على

الأرض. يترك الكنبة وفى يده العصا إلى غرفة نومه، لم يخض معركة أخرى مع الباب على عكس ما قد يتوقعه البعض لأنه كان قد تركه مفتوحاً، يتجه إلى دولابه ذى المرآة الكبيرة، على يمين الباب إذا كنت داخلاً، يتناول منه قفطانه وطربوشه الأحمر، يتعايق قليلاً أمام المرآة ويقتحم الصالة إلى باب الدار، وصوته يعلو بتنخيمة يعرفها أهل الدار.

يخرج إلى المندرة ويبدأ فى نزول السلم الذى لم يتبق منه إلا درجة واحدة نجت من ارتفاع الطين على جوانب البيت الذى يجاور الترعة القديمة.

الخادمية عزبة صغيرة فى وسط الدلتا، تحديداً فى كفر الشيخ طلحة، الولى المعذب الذى ترك مجد الدنيا ونعيمه ليعيش بين مريديه فى الدلتا.

كل شئ فى هذا المكان يبدو محملاً برموزه دون أية حاجة للافتعال. فالاسم لم يكن مصنوعاً لتأكيد سطوة هذه الدار على نواحيه. ويمكنك التأكد عن طريق اللجوء إلى خريطة مجلس محلى المدينة.

وطأ محمد يوسف الأرض الطينية ببلغته وبدأت العصا تترك علامتها على الأرض. لم يكن يحتاج إلى ركوبة عندما يذهب للصلاة. الجامع أقامه على ناصية أول فداديته الملاصقة للدار لكى يسهل عليه الحركة فى الأيام الطينية التى تقوم بنقش طرف القفطان الأسفل. كان

صوت الشيخ خليفة، وهو يغمغم ببعض الأدعية على أولئك الذين لم يتركوا أحضان زوجاتهم فوق الأفران الساخنة ليلبوا نداء ربهم، يصل إلى أذنه وهو يخلع نعليه على باب الجامع.

ما أن تعودت عيناه على الضوء الخفيف الذى ينبعث من النافذتين الصغيرتين على جانبى القبلة حتى أبصر أخاه أبو العينين يتأهب للنهوض ليأخذ مكانه فى الصف الأول. لم يقابله اليوم وهو خارج من داره الواقعة بحرى داره. ربما لم ينم طوال الليل فقد كانت هذه عادته عندما يكون مسافراً ليستقصى أسعار القطن فى البورصة هذه الأيام. طبطب على ظهره بهدوء والابتسامة الصافية تغطى وجهه وهمس «فينك يا أبو العينين ماشفتكش ليه وأنا خارج من الدار».

«ولاحاجة ياحاج محمد، أصلى لقيت نسمة الهوا طرية شوية فقلت أتمشى حبة بحذا الترعة وجيت من هناك على الجامع من غير ماأفوت على الدار».

«مش برد عليك يا أبو العينين ياخويا... ده احنا فى عز النوة».

«ولا برد ولا حاجة يا حاج محمد... ما أنا لابس القفطان فوق الجلابية أهه».

«اللى يريحك ياخويا» ينتبه فجأة « الله هو الشيخ خليفة مش حايقيم الصلاة ولا إيه...» لم يتم جملته حتى كان الشيخ خليفة يبدأ

فى إقامة الصلاة. انتظمت الصفوف وبدأت الصلاة وبدأ صوت الشيخ يعلو بالفاتحة ثم الصمدية.

لم يبتعد محمد يوسف بتفكيره عن الصلاة ولكنه لمح فى سجوده أثناء الركعة الأولى حشرة صغيرة تحاول الانزلاق تحت الحصيرة الخوص. لم يركز كثيراً فى هذا المشهد وما لبث أن نهض للركعة الثانية وعند الركوع لاحظ المشهد مرة أخرى مما أثار فضوله، نزل بركبتيه للسجود ثم برأسه على الأرض فى مكان حركة الحشرة التى تحركت بسرعة ثم ما لبثت أن رجعت مرة أخرى لنفس المكان. نزل برأسه للسجدة الأخيرة، استغرق فيها تماماً ودعا الله أن يحفظ له أرضه وراحة باله. ‹‹أشهد أن لا إله إلا الله...›› أنهى التشهد وفى أثناء انتظاره للتسليم فتح عينيه وشاهد الحشرة مقلوبة على ظهرها وحركة أرجلها تبدو ساكنة. ‹‹السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... السلام عليكم ورحمة الله››.

مد يده إلى أخيه متمنياً له زيارة الحرم. احتفظ بيده فى كفيه ثم نهض معه واتجها إلى خارج الجامع فى هدوء. عندما أصبحا خارج الجامع، نظر إلى أخيه ‹‹إيه يا أبو العينين، نويت برضه تطلع مصر النهارده ؟››.

‹‹أيوه ياحاج محمد عشان ما نعرف أسعار القطن ونطمن على محصول السنة دى››.

‹‹طيب على بركة الله... بس ما تعوأش لحسن الجماعة يقلقوا››.

‹‹على المغربية بإذن الله حنكون هنا››.

أصبحا على عتبة الدار، استأذن منه أبو العينين ليغير جلابيته استعداداً للذهاب إلى مصر وشاهده وهو ينصرف إلى داره المجاورة ـ دخل إلى الدار، يرن بعصاه على أرض الصالة، يتحرك إلى المائدة ويزيح كرسيه ثم يجلس على رأس المائدة، يصفق بكفيه العريضتين:

‹‹يا بت يا سماسم هاتى الشلية››.

تأتى الفتاة مسرعة بشلية اللبن الذى تغطيه القشدة وتناولها له.

‹‹بسم الله الرحمن الرحيم››.

يضع محمد يوسف الشلية على فمه لفترة لا تزيد عن دقيقتين ثم ينزلها فارغة تاركة بعض الآثار على جوانب فمه. يتجشأ بقوة تهتز لها موجات الهواء فى الصالة وتسرع سماسم وباقى الشغالات بإحضار الإفطار ورصه على المائدة أمامه. عندئذ تظهر رتيبة فى باب المطبخ، تتبعها عايدة ابنته - هذه الفتاة البيضاء بياض الشمس التركية على حد قولها لابن أخيها ـ وتجلسان إلى جواره. تساءل محمد يوسف قبل أن يمد يده لطبق الفول المنقوع فى السمن البلدى:

‹‹أمال فين الواد محمد ماجاش يفطر ليه؟››.

---

ترتفع عين رتيبة من على الطبق وتلتفت إليه:

‹‹أصله سرح فى الغيط مع الواد ابن اسماعيل أبو سعدة من صباحية ربنا بصطادوا سمك في الترعة››.

‹‹هو مش الواد ده أنا ياما قلتله يبطل يسرح قبل مايفطر››.

‹‹يا حاج سيب الواد يلعب زى ماهو عايز ما دام ما بيقلش أدبه››.

‹‹يقل أدبه... وهو يستجرى! أنا بس كل همى مايطلعش مسلوع زى اللى جابته››.

خفضت رتيبة رأسها إلى طبق الفول مرة أخرى. لم تكن صحيح ممتلئة لكنها لم تكن أيضاً ‹‹مسلوعة›› كما يدعوها زوجها. فى بعض الأحيان كان يستعمل تشبيهاً آخر مستمداً من غيطانه. عودها كعود الذرة وأطرافها هى كيزانه. على كل حال محمد يوسف كان يحب الذرة.

عندما تزايد التقاط الثلاثة لحبات الفول من الطبق، ارتفع منسوب السمن البلدى بالنسبة للفول. نظر محمد يوسف بهدوء إلى الطبق ومد يده بهدوء إليه ووضعه على بعد سنتيمترات قليلة من فمه لتتسابق نقط السمن فى التساقط داخل حلقه.

‹‹الحمد لله››.

---

تنظر إليه رتيبة وتتأكد أنه أخذ حقه بإمعان من هذا الإفطار فتنادى على سماسم لترفع الأكل. يتنحنح محمد يوسف، يفسح لنفسه مكاناً للحركة ويترك كرسيه ويذهب إلى المندرة.

هى عادته دائماً أن يقضى هذا الوقت فى المندرة، يستمتع بالهواء البارد فى صباح أيام الشتوية. يفتح فتحتى أنفه ليستوعب كل الهواء المار فى هذه اللحظة من خلال المندرة ويبتسم عندما يحس أنه قد غسل رئتيه ويزفر فى وجه الشمس التى قد بدأت تظهر فى الأفق.

اليوم يوم الخميس أى يوم السوق فى البلدة المجاورة وتبدأ الحركة مبكرة هذا اليوم فى كل العزب الموجودة فى زمام المركز. تزداد التصبيحات التى تلقى على مسامع محمد يوسف من الفلاحين الذين يسكنون فى جواره. يرد عليها بهزات بسيطة من رأسه أو بمد كفه لتغمره شفاه الفلاحين الذين يقتربون من مندرته لطلب البركة من فمه. تندفع قطعان الفلاحين مختلطة ببهائمهم إلى طريق السوق. تلمع طشوت المش العارية على رؤوس الفلاحات. تقدح صفحة مياهه الشمس التى بدأت فى الاصفرار، تتدفق فلول الدود من داخل قطع الجبن إلى الهواء، ترتطم بالأرض، تحتمى بالطين الذى يملأ الأرض من أثر مطر الأمس، تسحقها بُلغ الفلاحين الذين يجدون فى سيرهم للبيع.

نظرات الخفر فى عيون الجاموس تعكس مشاعر البين والفراق. ترجع بنظراتها إلى ناحية الدار والبيوت المجاورة لتلقى نظرة الوداع.

---

تتجه برأسها إلى الأمام وتقذف ببعض الهواء الساخن من أنفها في قفا صاحبها الذى يسحبها بحبله المفتل. لم يفق من تأملاته إلا على صوت الكاريته وهى تأتى من الطريق المواجه لطريق القطعان، تتأرجح بسرعة وعلى رأسها عريجى النحس عطوة. عندما أصبحت على بعد حوالى عشرة أمتار من الدار، شد عطوة لجام فرسه لكى لا يصل العفار إلى أنف محمد يوسف. قفز العريجى من الكاريته وأقبل مسرعاً يقبل يده بفمه الجاف إلا من حبات العرق التى إن دلت على شئ فإنما تدل على بعد المشوار الذى قطعه العريجى من المركز المجاور.

‹‹أمال أبو العينين بيه لسه ماجهزش ولا إيه؟››

‹‹لا زمانه لبس دلوقتى. أنا سبته ساعة الفجرية على إنه يجهز. أما أخلى البت سماسم تزْعقلك عليه››

يستدير برأسه نصف دورة حتى يصبح قفاه فى مواجهة العريجى الذى يمعن النظر فيه ويتمنى.

‹‹يابت يا سماسم روحى شوفى سيدك أبو العينين جهز ولا لسه وقوليله إن الأسطى عطوة مستنيه هنا››

‹‹حاضر يا سيدى بس أحط الحلة دى فى المطبخ››.

‹‹يا بت إجرى جاكى العمى... سيبى المحروقة دى دلوقتى وروحى اعملى اللى بأقلك عليه››.

يسمع طرقعة شبشب سماسم على الأرض وهى تخرج من الباب الخلفى للدار الذى يطل مباشرة على دار أبو العينين. يلتفت مرة أخرى إلى عطوة ويبتسم فى وجهه.

‹‹ما تقلقشى يا عطوة زمانه جاى››.

تمر دقائق قليلة من الصمت ينظران خلالها تجاه دار أبو العينين الذى يظهر بدون تأخير تتبعه إحدى الشغالات بالزيارة التى يحملها إلى أهل زوجته المصرية المولد. اقترب أبو العينين من المندرة، وضع قدمه على الدرجة الوحيدة المتبقية واقترب من كتف أخيه ليقبله.

‹‹ما تأمرش بحاجة أجيبهالك من مصر يا حاج محمد››

‹‹لا يا أبو العينين يا حبيبى تعاود بالسلامة››

‹‹طيب السلامو عليكم››

‹‹وعليكم السلام››

يلتفت إلى عطوة موصياً:

‹‹ما ترمحش فى السكة يا عريجى النحس لحسن حصانك يفهق قبل ماتوصلوا المحطة››

‹‹ماتقلقش يا حاج محمد... هى دى أول مرة››

‹‹يا شرموط أنا ما باقلش إنها أول مرة... لكن كل غرضى ما تكونشى آخر مرة››

ينهى عطوة النقاش بنطة على الكاريته يأخذ فيها اللجام والكرباج. تناوله الشغالة الزيارة ليضعها بجانبه. يصعد أبو العينين إلى الكاريته ويضرب عطوة ظهر الحصان بكرباجه ويستدير ثم يبدأ فى الانطلاق ناحية سكة المحطة. ليس الأمر بهذه السهولة فبينما هو يفعل ذلك تكون كل أطفال العزبة قد تنبهت إلى وجوده وبدأت فى التنطيط حول الكاريته. ويحاول عطوة الإسراع فى حركته إلا أن البعض يكونون قد نجحوا بالفعل فى التعلق بخلف الكاريته وبينما يسرع عطوة فى الطريق المؤدية إلى المحطة يراقبه محمد يوسف ويسمع فلول الأطفال الفاشلين فى التعلق بالكاريته. ‹‹كرباج ورا يا أسطى›› وتتساقط أجساد الأطفال من خلف العربة إلى الطين الطرى.

مرت عشر سنين يا محمد يا يوسف لم تنزل فيها إلى مصر. آخر مرة كنت هناك، كنت فى عنفوانك، تنتفخ عروقك بالدم الساخن. تتدلى شعورك على جبهتك التى تمتلئ بالأنهار الواسعة. باختصار كنت شاباً... ‹‹طب ما أنت لسه شباب يا واد››. اليوم امتلأت جبهتك بالترع والمصارف. اليوم لا تستطيع أن تنزل مصر. ‹‹آخر مرة دى كانت عركة بجد››. أفلت من علاقة ساخنة كان يمكنها أن تهزم رجولتك. عندما أعجبتك هذه الغزالة الجميلة فى الجمالية. كانت عارية الذراعين تفوح برائحة العطر وتختلط بروائح العطارين. كانت شهية ومحوجة، ساخنة ومتبلة، كانت كل شئ. عندما تتبعتها كنت تتتبع

رجولتك، رائحة الفحولة التى تفوح من تحت إبطك. كنت تتمنى أن تكون لوزة قد أثمرت قطنها لتمسح العرق الذى يغطى جلدك الساخن. لم تشعر إلا ورجولتك تختفى من أمامك لتظهر بدلاً منها شلة من العصبجية تقطع كل حبال الود بينك وبين الغزالة وبدأ النزال....

‹‹عايز حاجة يا بلدينا››

‹‹وأنت مالك يا أفندى››

‹‹لا مواخذة اللى كنت ماشى وراها دى تبقى جماعتنا››

‹‹بس أنا ما كنتش ماشى ورا حد››

‹‹شوفوا الجبن يا خلق الله››

‹‹ماتلم لسانك يا أفندى ولا ألمهولك››

‹‹تلمهولى إزاى يا فِلح يا مقطف››

عندما أتم جملته كانت بصقتك تستقر على وجهه. لم يتأخر طويلاً فى رد فعله. أخرج المطواة وبدأ يوجهها إلى وجهك. فجأة وقف فى مكانه عندما سمع صوت أحد الشيوخ المارين. ‹‹مايصحش ياجماعة ده برضه ضيف فى بلدكم››. التفت إليك ‹‹روح يا بنى ربنا يسهلك››. انتهى الموقف بسرعة لم تتوقعها وانسحب الطرفان.

‹‹أمال هما الرجالة ياخدوا على قفاهم أبداً››.

ثم استراح فى جلسته.

‹‹صباح الخير يا حاج محمد››.

جاءت هذه التصبيحة فى وقت لم يتوقعه لكنها كانت دائماً تفاجئه هكذا من فم عم إبراهيم حلاق المركز الذى يلف على العزب فى زمام المركز طلباً للرزق من ذقون ورؤوس جميع من يطيب لهم المزاج للحلاقة فى هذا اليوم. دائماً ببرنيطه وبمعطفه الأبيض الذى يضفى عليه طابع ملائكة الرحمن، يقترب من محمد يوسف.

‹‹دقن ولا شعر ياحاج؟››

‹‹لا ... دقن يا إبراهيم››

يبدأ الحلاق فى سن موسه على الجلدة العتيقة التى يعلقها فى بردعة جحشه الأبيض المِجرِب. يضع الموسى على رقبة محمد يوسف ويبدأ فى قطع بصيلات الشعر من على جلد الرجل. بدأت نقط العرق تتجمع تحت الجلد وتحاول النفاذ منه، تحاول أن تجعله يبوح بها وتنجح فى النهاية فى التسلل من إحدى الممرات الضيقة إلى السطح.

‹‹هى الدنيا حررت كده ليه... ده احنا فى أواخر أكتوبر يا حلاق التلامة››

يلتفت إبراهيم إليه بوجه ساكن بارد الملمس.

«مش عارف يا حاج محمد، الظاهر ربنا غضبان علينا ولا إيه».

بدأ إبراهيم يحس بتأثير الجو على مزاج الحاج محمد مما جعله يحاول خلق أمور من تحت الأرض حدثت أو لم تحدث لكى يحاول أن يصرفه بأى شكل من الأشكال عن الإفلات من تحت موسه: هذا الاختراع العجيب الذى استمر يتعقب نتف الشعر الهاربة. لم تلبث هذه النتف أن رضخت للموسى وفى أحسن الفروض استطاع بعضها أن يرجع إلى قواعده تحت الجلد مرة أخرى. تخلى إبراهيم عن متابعة هذه الفلول الهاربة خارج حدود السطح الظاهر للجلد وبدأ يجمع عدته ويتأهب للرحيل. بالطبع قبل رحيله، أكثر من التمنيات الطيبة لمحمد يوسف عندما غمزه بأجرته مع الإكرامية وتمنى فى قرارة نفسه أن يرزقه الله بزبونين أو ثلاثة من عينة الحاج محمد لكى يرجع إلى داره فيريح جحشه وراكبه.

عندما يصبح الجحش فى أفق رؤية محمد يوسف تكون الساعة قد قاربت على الواحدة. وفى نفس الوقت يبدأ الأفق فى الازدواج لكى يحتل نصفه الآخر بشاير الفلاحين الذين يبدأون فى الظهور من طريق السوق. وهؤلاء ينقسمون عادة إلى نوعين: منهم الذين لم يجدوا غايتهم فى السوق فيرجعون يجرون مواشيهم وبضاعتهم مرة أخرى إلى عزبتهم، يحاولون وهم فى الطريق أن يجدوا ما يبررون به خيبتهم لمن ينتظرونهم. أما الآخرون فهم أسرع الفائزين الذين ينجزون صفقاتهم

أسرع مما يفعل باقى السوق سواء لأن البيعة تجبر المشترى على عدم تفويت الفرصة أو لأن أحدهم قد استولى على الآخر ومرر له جاموسة مريضة أو غيرها من البضائع التى يعرف أصحابها عيوبها ولا يجدون فرصة لتصريفها غير السوق الذى يختلط فيه الحابل بالنابل. ومن الطبيعى أن ينصرف البائع سريعاً قبل أن ينكشف الملعوب ويترك الشارى المكان حين لا يجد ما يفعله. وسواء كان الشارى أو البائع هو الذى ينتمى إلى عزبتنا وسواء كان العائد ينتمى إلى النوع الأول أو الثانى فإن ما يهمنا أن هؤلاء هم أول من يصلون إلى بداية السكة المؤدية إلى العـــزبة فى هذه الساعة الحارة من النهار التالى لليلة سقوط المطر على الخادمية.

هذا التوضيح الخاص بالظرف المناخى ليس إضافة لعدد سطور الصفحة وإنما هو مقدمة ضرورية لكى ندرك لماذا تتحرك البيوت عند وصول العائدين على أول السكة.

عندما تسقط الشمس عَمودية على الأرض الطينية، يبدأ الطين فى التضحية بما يحتويه من ماء فى طبقاته العليا لكى يحافظ على غنيمته الرئيسية التى يحتفظ بها فى أسفله. تبدأ هذه التضحية فى التصاعد إلى الهواء لكى تشكل الغشاوة - المتعارف عليها - أمام عيون العائدين القادمين من بعيد. تبدأ العزبة في الاهتزاز وتطغى على ما حولها من طبقات الهواء المجاورة لتفتح مقررات شوارعها وتعمق أبعادها الثلاثة ومن البديهى أن لا يحدث كل هذا بدون أن تتحرك البيوت.

وعندما يقترب هؤلاء بأجسامهم ويصبحون على بعد أمتار قليلة من مندرة محمد يوسف، يرجع كل شئ إلى طبيعته وتظل الغشاوة على مشارف العزبة.

أول العائدين هو فتوح، فلاح فقير كالعادة، تظهر تفاصيل جسمه من خلال الجلابية الرمادية اللون، تتكشف كل عظامه وبقايا لحومه. ورغم أن التشبيه التالى يمكن أن يكون مجحفاً لنساء العزبة إلا أن تفاصيل جسم فتوح يمكنها أن تذكرنا بثنايا الجسد الأنثوى للفلاحات اللاتى يغطسن فى مياه بلطيم - منفذ كفر الشيخ الوحيد على البحر - بملابسهن مما يغرى رجالهن فيضاجعونهن عندما يرجعون إلى العزبة.

لم يكن ما يزعج الحاج محمد فى فتوح شدة غبائه الذى اشتهر به بين فلاحى العزبة والذى كان يقوده أحياناً إلى الاعتقاد فى أنه ذكى. ولكن كان مصدر هذا الانزعاج أن فتوح كان يتمادى فى معارضته لمن حوله وتمسكه برأيه مما يجعله فى بعض الأحيان يجاهر بهذا السلوك وهو فى المندرة. إلا أن محمد يوسف كان يعلل هذا فى بعض الأحيان بأن مخه طاقق. واليوم كان يحوى أوضح مثال على اختلال ذهن فتوح، فهو يتفاخر بأنه اشترى جاموسة تستطيع أن تحلب ثلاثة كيلو من اللبن فى الضرع الواحد مع العلم أن الجاموسة التى تستطيع أن تفعل ذلك يمكنها أن تفعله فقط عندما تلتهم ثلاثة أو أربعة يومياً فى حجم فتوح ناهيك عن أن الجاموس حيوان نباتى. لم يطولِ الحاج محمد

فى حديثه مع فتوح لأنه فى هذه الأحوال يحاول أن يتفادى فتح نافوخ من أمامه.

دار فتوح - مع من كانوا حوله - خلف الدار ليصلوا إلى مداخل بيوتهم تاركين الحاج محمد وقد بدأت معدته تعلن عن حاجتها لإمدادات معينة. لم يعارضها كثيراً وبدأ يتشمم رائحة المطبخ والفرن وهو يترك المندرة ويتجه إلى داخل الصالة. عندما تكون الساعة الثانية فى الخادمية، تقتحم الشمس مندرة محمد يوسف وتغتصب ظلال صالة المنزل العتيق وتنير ما يواجهها. وأول ما يواجهها هو صورة محمد يوسف القديمة المعلقة على جدار غرفته. صورة لشاب فى العشرين من عمره لمن يقارب الآن الخمسين. فى الصورة تندهش كيف استطاعت العدسة أن تضم صدره المفرود وذراعيه المنتفختين. ما زال قوياً حتى اليوم ولكن الصورة يمكنها أن تسع أيضاً زوجته النحيفة. صحيح أن الصورة قد بدأت تصفّر وتفقد أطرافها من القدم إلا أنه كان يصر على الاحتفاظ بها.

عندما وصل إلى باب الفرن وجد زوجته تطمئن على نضج البرام فتساءل عن المدة التى سوف تصبر فيها معدته على فراغها.

‹‹يعنى نص ساعة كده يا حاج ويكون الأكل على السفرة››

الحل الوحيد الذى يمكنه أن يؤثر على جوعه هو أن يبدأ فى قراءة بعض آيات الصوم. ولأولئك الذين قد يندهشون من أهمية المسافة

الواقعة بين صدر محمد يوسف وسوأته، يمكننا أن نقول فى عجالة إنه طالما يأكل فهو موجود، ووجود محمد يوسف أمر له نتائج على المحيط الخارجى: العزبة التى لا يمكن تخيلها بدون وجوده. عندما يعود محمد يوسف إلى مندرته مرة أخرى ويبدأ فى أن يستريح فى جلسته على مقعده الخشبى الذى تحلى أطرافه بجوامع وأهلة صغيرة، يفاجئه «عودة» خفير المركز الذى تعود أن يمر على العزب فى ساعة المغربية لكى يطمئن على الأمن. ولكنه فى هذه المرة يأتى قبل العصر وتختلط أقدامه بطين الأرض فيقذفه من قدم إلى أخرى وتمتلئ أطراف الجلابية بالطين وتبدو أقدامه من بعيد كتلاً من الطين تتحرك. وعندما يصل عودة إلى المندرة يبدو الطريق من خلفه كالأرض التى تنام على ظهرها - بعبارة أخرى باطن الأرض ملقى خارجها - ويبدو عودة بعرقه وبحرارة وجهه الأحمر كالذى مات له ميت.

««يا حاج... يا حاج»»

««مالك ياعودة مطين كده ليه؟»»

««سيدى أبو العينين طسته عربية قدام بيت نسايبه والبركة فيك يا حاج»». لم يكن محمد يوسف واقفاً ليسقط من طوله ولكنه عوضاً عن ذلك غاص بالكرسى فى أرض المندرة وتمنى لو أن عودة أنام أرض المندرة أيضاً على ظهرها لكى يسهل عليه المهمة. عندما وصل محمد يوسف إلى القاع حاول أن ينتزع نفسه من كرسيه لما رأى عودة يكاد

أن يطأه بقدمه وبالفعل نجح فى أن يتسلق جوانب الحفرة ليصل مرة أخرى إلى السطح. بدأ فى إزاحة الطين ليدفن كرسيه. لن تعرف الراحة فى يومك هذا يا محمد يا يوسف. على كل حال ليست هذه هى المرة الأولى التى يتوفى فيها أحد أفراد العائلة ولذلك فقد بدأ محمد يوسف فى مباشرة مهامه بسرعة. لابد من تغيير كافة ترتيبات الغذاء استعداداً لجحافل البشر الذين سوف يأتون للتعزية. فينادى على زوجته ويخبرها بالأمر وطلباته، لم يعط لها الفرصة لكى تظهر أحزانها فالوقت يجرى ولا بد من إنهاء كل شئ قبل شمس الغروب. بعد ساعتين لا أكثر سوف تصل السيارة التى تقل أبو العينين وأقارب زوجته. يجب عليه أن ينبه التربى إلى ضرورة فتح القبر وتجهيزه للدفن. ينادى على أحد الفلاحين المارين فى هذه اللحظة بجانبه ويأمره بأن يذهب إلى التربى ويبلغه كذا وكذا. ظهرت الدهشة على وجه الفلاح إلا أن انصراف الحاج محمد إلى عودة جعله ينصرف للتنفيذ. يمد محمد يوسف يده فى جيبه ويخرج عشرة جنيهات يعطيها إلى عطوة.

‹‹اسمع يا عطوة عايزك ترجع على المركز تتفقلى مع الواد حمدان المنادى عشان يجهز ركوبته ويدور على العزب يبلغ الخبر وما تركنش عنده تروح تتفق مع الفراشة على أربعين ولا خمسين دستة كراسي عشان الناس اللى جاية تعزى››.

انصرف عودة بسرعة لكى يكون كل شئ جاهزاً على وصول السيارة فى حين اطمأن محمد يوسف على أخبار الأكل الذى يتم إعداده وبدأ ينادى على بعض الفلاحين لإصلاح الطريق المؤدية إلى قبر العائلة.

‹‹ياللا يا حميدة خد الرجالة وروحوا إعملوا لكم همة. جيبوا شوية قش وقوالح درة ناشفة وروحوا سمهدوا الحتة المطينة اللى فى مدخل التربة››

تحرك هؤلاء إلى الخلف، إلى قبر العائلة الذى يتصدر باقى قبور القرية فى الوقت الذى وقف فيه محمد يوسف ينظر من خلال المندرة إلى الأفق البعيد الذي يحده الطريق الذى يصل العزبة بالطريق السريع.

من هذا الطريق ذهب أبو العينين فى الصباح إلى مصر ومن هذا الطريق نفسه أعادت إليك مصر جثمانه. ماذا فعل فى مصر؟ وماذا فعلت فيه مصر؟ عندما مات والدهما، اشترى له أول لعبه، عندما أراد أن يتعلم أرسله إلى مصر. عندما أعجبته هذه الفتاة التى يعلو صوت بكائها فى المنزل المجاور، لم يعارضه وزوجها له. كل هذا فعله له أما هو فقد بخل عليه حتى بأن يموت بجواره.

تقطع أفكاره قوة نظرات عيون الآخر. تقترب السيارة التى تعود بأخيه وهى تسلط أضواءها فى عيونه وتحول مندرته إلى البقعة الأكثر

إضـاءة فـى المكان إذ لـم تخـتـف الشـمس ومـا زال للآخـرين حظ من الضوء. عندما تتوقف السيارة أمام المندرة، تصبح المعركة واضحة ومتكافئة. فانوس لكل عين من عيون محمد يوسف. يقترب من السيارة وهو صالب طوله، ينظر إلى الجزء الخلفى منها حيث يتوقع أن ينتظره أخوه. يسلم على من جاءوا مع أخيه بفتور ويخطو نحو أخيه. يفتح شنطة السيارة ويتبادل معه النظرات. لقد أغلقوا فمه، لن يستطيع أن يضحك، أن ينطق وأن يأكل، لن يستطيع أن يكون موجوداً بعد الآن.

اقترب من وجهه، قبله في خده وفى جبينه وأعطاه خده لما تمدد عليه يغرض البكاء واستراح عندما أحس بشفاه أبو العينين تلامس لحمه. لم يرد أن يحتضنه لكى لا ينتزعوه منه. ظل متماسكاً ورفع قامته ولعن أيام عمره السوداء فى سره وتمنى لو كان فى شبابه لكى ينتزع أخاه من الموت ويقذف بالسيارة على طول ذراعه إلى حيث يبدأ الطريق السريع. لكن كل شئ، حتى الصورة الصفراء، كان يشهد على أنه لم يعد يستطيع فعل هذا الشئ بالذات. انتبه على صوته وهو ينادى به على الفلاحين الذين تجمعوا من حوله.

‹‹ياللا يا ولاد شيلوا سيدكم أبو العينين وحطوه فى الخشبة واطلعوا بيه على الجامع››

من بعيد بدأت أنسام العصارى تحمل صوت المنادى وتضعه بهدوء فى وسط العزبة.

‹‹توفى إلى رحمة الله أبو العينين بيه يوسف أخو الحاج محمد يوسف والحاج عبد الفتاح والحاج عبد المنعم والحاج عبد الجواد والمرحوم ابن الحاج يوسف محمد عين أعيان الخادمية...››

عندما يمتلئ الطريق إلى العزبة بوفود العزب والقرى القريبة القادمين للتعزية، تبدأ هذه الكلمات فى الاصطدام بأجسامهم والوصول إلى الأذن الوسطى فى المناطق الجانبية من الرأس. يأتى التوافق الحسى الذهنى العضلى بثماره فتحدث حركة اللطم.

أما ما حدث بعد ذلك من صلاة الجنازة إلى الأكل الذى ينتظره الفقراء فى المركز كأيام الفرح والطهور حيث تتيح لهم هذه المناسبات مشاهدة مفردات الطعام - التى لايتعرفون عليها إلا متفرقة ونيئة - فى ثوب جديد يشعرون نحوه كأى شئ غريب بشعور الرهبة فى بادئ الأمر إلا أن الرغبة هى التى تتحكم فى مقدرات الأمور بعد ذلك. فكل هذا لا يهمنا. حتى طوابير العزاء الطويلة التى تجعل الذراع لا تقوى على الحركة بعد ذلك، لا تهمنا أيضاً. كل الحقيقة والأهمية تكمن فى النظرات والقبلات التى تبادلها محمد يوسف مع أخيه ثم ما حدث بعد العزاء من لحظات صمت طويلة.

وقف محمد يوسف أمام الجدار الذى دفن فيه أخوه، يبكى ويناديه كما اعتاد دائماً. كان الطين الذى سد به الترب الجدار ما زال طرياً. لم يمل من النداء دون استجابة من أخيه ولكنه استغرب لعدم الاستجابة.

وعندما بدأ كل شئ يسكن، مع اختفاء الشمس، ما عدا أصوات صراصير الغيط المملة، تذكر كل لحظات الموت السابقة وتأكد من حدوث نفس الحادث لأخيه. أدرك في نفس اللحظة أنه في حاجة إلى صورة جديدة يضعها بدلاً من تلك التى اصفرت في بروازها القديم. هو في حاجة إلى ما يثبت بياض شعره الحي.

غادر القبر وهو عاقد العزم على الإرسال في الصباح إلى مصور المركز ذى الكاميرا النقالى ليلتقط له صورة جديدة.

وفي هذه الليلة، فعل شيئاً فعله عشرات المرات من قبل: حرث زوجته، وبذلك أعطانا خيطاً نكمل به قصتنا.

* * *

# فى مرآة صغيرة

في شهر يوليو، عندما يصبح كل شئ في العزبة مستعداً للشمس، تتماسك كتل الطين وتترك مساحات خالية فيما بينها على أمل الاحتفاظ بالماء في داخلها. يحدد أماكن الخطوط الفارغة بين كتل الطين شتلات الأرز التي من فرط انغماسها في الأرض لم تظهر منها سوى سنتيمترات قليلة لا تصلح لحماية الكتل الطينية من أشعة الشمس المؤلمة. إلا أن خيطاً آخر من المياه يبدأ في تكوين نهره الذي يصل ما بين الكتل الطينية. العرق.. العرق عندما يبدأ في التساقط من ذقن الطفل، الذي يحمل اسم عبده، في المندرة، يبدأ خطه في التجمع والتوجه إلى خارج المندرة.

عندما يتحول خط العرق إلى نهر كبير يملأ المندرة، يبدأ عبده في رؤية وجهه في الماء. يقفز إلى الماء في وجهه ويبدأ في السباحة. وعندما يدفعه التيار إلى خارج المندرة، يتشبث بمكانه. يندفع إلى أسفل

النهر ويلمح قوقعة جميلة. يصعد إلى أعلى. يقذف بقوقعته إلى الهواء.تعجبه حركة الجسم فى الهواء. يضغط بقدميه على قاع النهر ويندفع إلى الهواء. يمسك بقوقعته فى أعلى نقطة. يبتسم. يصطدم بالماء وهو يسقط. ويصبح فى أذنه ألم.

عندما يعود عبده مرة أخرى إلى المندرة، يصبح كل شئ معداً لصراخه وبكائه واستنجاده بأمه.



# ألعاب الماء والهواء

**يا واد**

يا عبده نزل أخوك جلال من عالشخشيخة المنيلة دى لا يقع تكسر رقبته وييجى أبوك يطين عيشتك»

كان صوت رتيبة يقطع الحركة الدائرة ويمثل الشئ الوحيد الذى ينتمى للأرض فى هذه اللحظة. كانت عيون أطفال محمد يوسف وأبو العينين معلقة. فعندما يجذب عبده ناحيته الحبل الذى يربط به أخاه، ينزلق الحبل على الكمر الحديدى المعلق فى السقف. والنتيجة الطبيعية لهذه الأفعال أن يعلو جلال إلى السقف ويقطع تداخل أشعة الشمس التى تملأ الهواء الذى يتحرك فيه. هذا الهواء الذى يدخل من فتحة الباب ويخرج من أنوف الأطفال الصغار الذين يستمتعون كل يوم بهذا المشهد العجيب.

الملل لم يكن جزءاً من المشهد السابق. فكل يوم كان يحمل طعماً جديداً لارتفاع جلال فى الهواء. طعماً يجرى تسبيكه فى الليلة السابقة

عندما تبدأ ليالى الوصل بين صراصير الغيط وتعزف الضفادع ليليات جميلة. تبدأ تحت اللحاف خطة عبده وجلال للارتفاع المقبل.

‹‹شفت يا واد يا جلال البت هنية بنت إبراهيم شلبى إحلوت إزاى؟››

‹‹أيوه صحيح يا عبده دكنهار كانت ماشية بتحوط على البط جنب دارهم قام دكر بط اتفزع ونط من غير ما يشوف هو رايح فين وهب راح لابس فى بتاعها. وساعتها لاقتلك جسمى ضربت فيه النار زى الحمى››

‹‹أيوه ماانت أصلك نَفَسَة يا روح أمك. إيه ياد انت غيران من دكر بط؟››

‹‹أصل ياعبده البت هنية كل حاجة فيها حلوة. لما بتكون موطية تحس إن وراكها من فوق زى شلية اللبن وهى مكفية على وشها››

وبدأ عبده فى تخيل اللبن وهو يملأ هذه الأرداف.

عندما ارتفع جلال فى اليوم التالى، كان مشتاقاً. وكان عبده يشاركه نفس الشوق ولا يرى عيباً فى أن يبقى هو على الأرض بينما جلال يرتفع ليرى هنية. هو الكبير ولا بد أن يترك أخاه يستمتع كما استمتع هو من قبل. وعلى كل حال هو الكبير وسوف يؤدى فى النهاية ما يعجز جلال عن تأديته. وصل جلال إلى نقطة المراقبة. اهتز الحبل فى يد عبده. كانت كل هزة لها طابعها الخاص الذى يعطى عبده

إحساساً بأبعاد وسخونة المشهد الذى يراقبه جلال من أعلى. وبدأت فتل الحبل تلتهب فى يد عبده. ولذلك أدرك أن الشلية قد ظهرت فى عيون جلال. كانت الجلابية بكل ماتحمله من نتوء وبروز هى كل مايملأ هذه العيون. تمنى لو تخلعها. تعجب كيف يمكن أن تحتمل هذه الجلابية ملامسة هذا الجسد. كيف تطيق أن تمر من تحت إبطيها، تلامس حلمتيها، تلتصق بعانتها. كيف يمكنها أن تحتمل... هه... كيف يمكنها؟ كيف يمكنها أن تصوم عن إنبات شئ تدفسه، تمرره فى كل هذه التفاصيل؟ توحد جلال مع الجلابية وبدأ يحلب مشاعره اللبنية.

كل ما سبق لحظة الحليب كان يتوقعه عبده ويمارسه من خلال أخيه. ولكن عندما شعر بلزوجة فى يديه، أحس بالأرض التى تصاحب المرة الأولى لجلال. وبدأ يصعد الحبل. وكل من يعرف قانون الجانبية يعرف أن المقاومة قد ضعفت. ولذلك بدأ جلال يهبط بدون إدراك منه أو من أخيه. وعلى بعد متر أو مترين من الأرض، قفز عبده من أعلى إلى أسفل أخيه.

غمزة وابتسامة.

‹‹كانت رقبتى حتتكسر يا عبده››

‹‹أمال أنا رحت فين يا جلال››

فى هذه المرة سقط جلال على غير إرادته. وعادة ما تكون إرادته نتيجة لرغبته. رغبته فى تفادى دخول والده وهو بأعلى. وما يترتب

على ذلك من سماعه لأصوات تكسير بداخله وربما أيضاً خارجه: من جسد عبده عندما ينفضه أبوه. فى أحيان كثيرة كان عبده يتصور أن والده يضربهما ليس لأنهما يشتهيان تلك الأنثى ولكن لأنهما يفعلان ذلك من أعلى حيث لا يراهما أحد.

وتأتى لحظات تلى التكسير والتصور. يتألم فيها جسدياً ويصبح مثاراً للإطاحة بكل الأشياء التى تؤلمه ومنها الضفادع التى تملأ المنزل فى الصباح. يتعقبها. يصيبها الفزع. تبدأ فى الطيران من على الأرض.فى نفس اللحظة يلتقطها بطرف قدمه ومن لمسة واحدة يمررها إلى أخيه. كل فى مركزه طبقاً لأساليب اللعب القديمة. يلتقطها جلال من الوضع طائراً. تنطلق أسرع من الصوت. تلتصق بالحائط فى وضع مسيحى. تسقط مصحوبة بصوت حشرجة احتكاكها بالجدار. بمجرد ماتلمس الأرض تطير إلى أى مكان أفضل من هذا العالم المجنون الذى يجبرها على بذل جهد زائد. ولأن الدنيا سلف ودين فقد كان انتقام الضفادع حتمياً. جلال أيضاً كان يلتصق بالأرض فى بعض الأحيان. الطريقة بسيطة. عبده والمنفاخ. عندما كان ينفخ من روحه فى شرج جلال كان يشعر بالهواء يجتاح جسمه. يمر أمام عيون الأطفال الذين كانوا يراقبون المشهد ويتمنون لو كانوا فى مكان جلال، وهو من ينتفخ. ينفصل الجلد عن اللحم من ضغط الهواء ويفتح المكان لتيار الدم ليملأ كل الأماكن الخالية. يعلو صوت المتعة فى المكان. يبدأ هواء الوصل فى النضج. يمتلك الدم جلال. نظرة ساكنة. صوت محمد يوسف. ‹‹هو

انت يابن الكلب مش حتبطل العملة المهببة دى››. ينقطع الهواء. يستعيد عبده روحه مسرعاً.

ولأن فى العجلة الندامة فقد اصطدمت أطراف الروح بشفتيه. ولأن الروح مازالت فى حالة سيولة وشفاه عبده ما زالت ساخنة من بقايا الوصل، فيحدث ما يسمى بظاهرة بخار الماء. خيال الأطفال خصب. يذهب هذا الشئ إلى السماء. ينزل منها. يحول الأرض قطناً. يذهب القطن إلى مصر. يصبح خيطاً طويلاً. يحضره محمد يوسف من المركز. المطر الذى حول الأرض قطناً يلون السماء. تبدأ لعبة الطائرات الورقية.

كسراً للرتابة، كانت هذه اللعبة مفتوحة للجميع. هذا الورق الشفاف المفضض الذى يلمع فى نني العيون الصغيرة. تبدأ الأيدى فى العمل فى قص ولصق هذه الأوراق التى قد تبدو حمراء فى الأيدى. ولكنها فى العيون تجمع كل الألوان المجاورة والتى تتحرك بين الأيدى الأخرى وتختلط بخصل الشعر والضفائر الطويلة. ‹‹أى هو أنتى لازم تلزقى كده››. عفاف بنت ‹أبو العينين›. فى كل مرة، تختلط ضفائرها باللصق الذى تضعه على الورقة. لا يهم، فعندما يصيبها التعب من مد الذراع بالخيط الذى يربط الطائرة فى السماء، يمكنها أن تترك هذه الأوراق فى شعرها. تجرى والمرآة فى يديها وتشاهد هذه الخلفية الجميلة التى يظهر من خلالها كل شئ.

---

أخضر... أحمر... أزرق... ووجه عبده.

يقيناً نيوتن ولد ونشر الضوء الأبيض إلى ألوان عديدة قبل هذا اليوم بأعوام طويلة. يقيناً أيضاً أن هؤلاء الأطفال فى الخادمية لم يسمعوا عنه. لكن عندما يجرى الأطفال وفى أيديهم طائراتهم الورقية تتحول سرعة الألوان فى الجو إلى ضوء أبيض يزيد من بياض الخيوط القطنية فى الأصابع.

جرْى الأطفال عادة ما يكون بحذاء الترعة. تظهر كل الحركة مصحوبة بخيطان الطائرات على الماء المتحرك. نقط الماء تتشابه. تحاول التعرف على بعضها البعض. حفلات التعارف عادة ما تكون مملة وطويلة. السبيل الوحيد لإتمام التعارف هو اللجوء إلى قطعة الحركة التى تعكسها كل نقطة. نقط الماء تكتشف أن الذى يتحرك أمامها... ببساطة يتحرك. والنقط هى نفسها تتحرك. وبذلك تصبح الحركة مركبة. ويصبح الموقف فى حاجة، فقط لكى يكتمل عنصر الزمن اللازم للتركيب، إلى أن يصبح عبده الخال عبده.

الخال عبده، بالنسبة لأولاد أختيه عايدة وشمس، هو مصدر اللعب الوحيد. ينتظرونه من الصيف إلى الصيف التالى. عبده أيضاً كان ينتظر هذا الصيف. يذكره بالمشهد الذى تركه منذ بضعة أسطر. وكان ينتظر لأن الأنثى الاسكندرانية لها طعم آخر يخالف ما يعرفه. كان هناك اتفاق على تبادل المنفعة. كان الاتفاق اتفاقاً علوياً. يرفع لهم

الطائرات بقدر ما يستطيع فى الجو. وفى المقابل يساعدونه على أن يعلو المرأة التى تدخل رأسه وهو يراها على شاطئ سيدى بشر.

أمام الطابية يبدو كل شئ احتفالياً. الجيوش تبدو مرهوبة الجانب عندما تراها من الخلف وهى تمتد للأمام. منطقة الميمنة تتلاقى مع الميسرة وتعبر بحار الظلمات السبعة لتلتقى بعينى عبده عند موطن المتعة. نظرته القوية تخترق، تكتشف الأنثى بكل تفاصيلها. غالباً ما كانت هذه النظرة عبارة عن طاقة مهدرة لأن الأنثى فى وضع كهذا عادة ما ترتدى المايوه. ولسوء حظ الأجيال الجديدة أن فى ستينيات هذا القرن كانت المايوهات أقل تكلفة وبالتالى أكثر ربحاً بالنسبة لعبده الذى يبدأ فى رسم خطة الحفر.

عندما يضع الجردل بالمقلوب على الرمل، تترك الفتحة أثراً دائرياً منخفضاً. تبدأ بعد ذلك جهود متتابعة لاكتشاف المياه التى غاصت تحت الرمل وأثارت فضول الأطفال. فى البداية يكون الحفر صعباً لأن حبات الرمل تكون متفرقة وتتعامل معه بطريقة رجل لرجل ولذلك يجد نفسه فى معارك متصلة تصل إلى حد اقتلاع أظافره من لحمه عندما تحاول حبات الرمل التعشيش فى منطقة ما بين اللحم والظفر. وعندما تبدأ جهود الحفر فى الوصول إلى مرحلة مناسبة، تبدأ المياه فى الظهور وتلتصق حبات الرمل فى كتل مبتلة. يشعر عبده بأن الرمل يمتص يده ويحاول أن يستبقيها معه، وعندما يتركه يشعر بدغدغة

لذيذة نتيجة لفرقعة المياه وهى تبتعد عن يده التى يرفعها ليكمل بكتلة الرمل الدائرة التى تلتف حوله وتتسع لجسمه وأجسام الأطفال. ولمن لهم خبرة فى حفر الحفر فإنهم يدركون أنه عندما تمتلئ الحفرة بالماء، تبدأ جدرانها فى التساقط بداخلها. ولذلك يلجأ عبده إلى الرمل الناشف لكى يرمم به جدران حفرته. الآن، بعد أن توقف تساقط الجدران، تبدأ بقعة المياه الموجودة فى قاع الحفرة فى الصفاء. وضع وجهه فى فتحة الحفرة المواجهة للبقعة فى القاع ولقرص الشمس فى أعلى. حرك وجهه من الفتحة فظهرت الشمس. أعاد وجهه مرة أخرى.

آه

اصطدمت عيناه بالشمس بقوة. وجد نفسه يحتضن منافسه. تصطدم الجبهتان. قدم الآخر قاريت على تقطيع الأنابيب التى تصل بين صهاريج ماء الحياة. وقع عبده على الأرض وتألم. اندفع الأطفال من مواقع المتفرجين خارج الخطوط الجيرية إلى داخل الملعب. حملوه بأيديهم وتركوا مساحة من الفراغ من بدايتهم ونهايتهم لتتدلى فيها النسيخة الميتة. شيئاً فشيئاً بدأ الدم يجرى فى الجسد المصاب. التراث العلمى يؤكد أن نظرة الإنسان ما هى إلا رد فعل لانبعاث أشعة غير مرئية من الجسم المواجه للرائى. على العكس، كانت نظرة الأخ محمد قوية مما أعاد إلى ذهن عبده آلام الصهاريج.

---

‹‹بص بقى يا عبده أنا مستلمك من أبوك سليم لكن كده حترجع له ناقص حاجة مهمة. ولو عرف الحدوتة دى حيروح حالف عظيم تلاتة ما انت جاى ناحية الكرة دى تانى››

ولما زادت درجة حرارة الجسم بعد انتقاله إلى الدار، أحس بألم فى ركبتيه. وضع قطعة ثلج على مكان الألم استجابة للموروث الشعبى السائد عن علاقة مكان الإصابة بركبة المصاب. نقطة الالتصاق بين الأحمر والأبيض الشفاف أتاحت الانتصار للأول. النقط الهارية من مكعب الثلج تتعلق بشعر الساقين. حلاوة الروح تسبب انحناء الشعر المحمل بالنقط، فى الصفوف الأولى من ناحية الركبة، بدلاً من سقوطه ليتم تسليم النقط للصفوف التالية. وتبدأ النقط فى الهبوط على وجه القدم الذى يحتفظ ببعضها على سبيل الذكرى ويترك الباقى لكى يكمل خط سيره إلى أرض الحجرة البلاط. ويظل هذا الحدث مستمراً حتى يفقد مكعب الثلج وجوده بالإضافة إلى إمداداته التى يتلقاها من الركبة نفسها التى تفرز العرق نتيجة لنفس ظاهرة الالتصاق الموضحة عاليه.

نظر عبده إلى قدمه الموجودة فى وسط دائرة الماء الذى يعلو إلى ظفره فيطرد منه الأرواح الشريرة التى تتكون نتيجة للمجهود الزائد. تتخذ هذه الأرواح من دائرة الماء مركزاً لحركتها إذ يعاونها تيار الهواء، المندفع من الشباك البحرى المجاور لجسم عبده، على السباحة السريعة. تصطدم بشعر الإصبع الكبير الذى يحتل مساحة من الفراغ أكبر من

غيره. يثبتها. تحاول التخلص منه إلا أنه يقاوم حركتها العنيفة مما يسبب آلاماً فى منابت الشعر. يهرش عبده فى مكان الألم ويبدأ فى تحريك ساقه. يتوقف نتيجة للطرقعة العالية التى صدرت عن مفصل ركبته.



# أشكال النمل

**الأسرة**

أسرة قديمة، وليست بالضرورة عريقة رغم أنه لن يكون تجاوزاً عن الحقيقة إذا تم إلصاق هذه الصفة بها. وعادة ما تقوم هذه الأسر القديمة ببناء بيوتها بنفسها. بسهولة إذن يمكننا استنتاج أن البيت بيت قديم. ولذلك فإن بلاط المندرة قد بدأ يتشقق استجابة لعامل الزمن ولاختلاف موازين القوى العليا - متمثلة في أجسام البشر الذين يتحركون في المناطق المختلفة من المندرة - بالإضافة إلى السفلى المتمثلة في اختلال تساوي قاع البلاط من ناحية الطين الذي يحوي مواطن السحالي والضفادع والنمل.

بطبيعة الحال، اختلفت المواصفات الهندسية للتشققات تبعاً لمعادلات القوى المختلفة. إلا أنه في الغالب الأعم كانت التشققات صغيرة بالنسبة للنوعين الأول والثاني من السكان إلا أنها كانت تسمح بمرور النمل بمختلف تنويعاته.

كان عبده قد تركته رتيبة ينعس على مفرش صغير على البلاط فى منطقة قد كثرت فيها التشققات نتيجة لوقوعها على الخط الفاصل بين منطقة حركة محمد يوسف من جهة والباقى من جهة أخرى. مساحة الفراغ التى تعلو التشققات والتى أظلمت بفعل جسم عبده أدت إلى حدوث حالة من القلق بين عامة النمل والمهانة بين زعمائه الذين يستمدون رهبتهم من السورة القرآنية. أطلت النملة، التى يتوسم فيها الآخرون القوة والحذر، برأسها لتتعرف على سبب الظلمة المفاجئة التى حلت بالممرات الأرضية. وجدت هذا الشكل المستلقى على الأرض فى وضع موازٍ لبعض الممرات وعَمودى على فتحات التهوية والضوء. عبده كان يترك ذراعيه على الأرض فى وضع يجعل باطن يده مواجهاً للبلاط.

تبدأ النملة فى الاقتراب من الجسم، تأخذ حركتها الشكل الخارجى للمفرش لأنها تعتبره هو أيضاً مصدراً للخطورة. يعنى ذلك أن خط حركتها الأول كان مستطيلاً. دخلت النملة المفرش من أحد جوانبه واتجهت إلى كف عبده ذى الأصابع المرتكزة على الأرض. حققت الحركة الثانية شكل الدائرة أثناء دورانها حول مركز الكف. اتجهت النملة إلى الإبهام ورسمت دائرة أصغر. مدت مجساتها - فى أعلى الرأس - ولامست لحم عبده الذى بدأ ينتبه. اللمسة الضعيفة أوجدت لذة فى الإبهام فقط لا غير لأن الوظائف العضوية للإصبع الآخر لم تكتمل.

---

دخلت رتيبة المفرش من ركن مخالف للذى دخلت منه النملة ورأتها كبيرة تقف جنب إصبع عبده وخافت أن تجرى هاربة فأمسكت بقلة الماء المجاورة وطرطشت بعض المياه عليها لتشل حركتها ووصلت نقط الماء إلى وجه عبده وأنفه مما جعله يعطس بقوة.



# تحت الأسقف المنخفضة

**لأن**

الحمار كان يمشى ببطء، اتسع زمن الرؤية. الطريق من العزبة إلى محطة القطار ينطوى على مستويات مختلفة من التربة. لتعويض مساحات الفراغ التى تفصل بين تلك المستويات، تعامل كل نصف من جسد الحمار على حدة مع مشكلة الفراغ. نتجت الحركة نتيجة لفارق الجهد بين نصفى الجسد. تسلم الحركة الذيل الذى بدأ فى رسم إيقاع بندولى. على امتداد الخط الأفقى الناشئ من منبت الذيل والمخترق للجسم، يوجد عبده فوق الحمار محصوراً فى الإيقاع البندولى. الحمار أقرب من عبده إلى الأرض التى يمشى عليها ورأسه إلى أسفل وبالتالى عيونه التى ترى ما يواجهها. عبده عيونه أفقية تشاهد بسهولة أكثر ما يمتد أمامها. بخار القطار السابق وصل إلى السحاب. ما زال الحمار يخفى برأسه ما يشاهده أسفلها. عندما يحتاج عبده إلى رؤية هذه المنطقة، يأخذ وضع الحمار.

---

يحاول عبده أن يسرع من إيقاع الحمار فيضغط على بطنه فتحمل الأعصاب الإشارة إلى المخ فى الرأس فيزداد ضخ الدم ويصب فى مركز الثقل فى الرأس التى يستنشق أنفها، الأقرب من الأرض عن العين، الهواء لمزيد من الطاقة تلبية للأمر الصادر من أعلى.

بدأت مستويات التربة تفقد تناقضها نتيجة للاقتراب من المحطة. كانت ساق الشورت القصيرة الرمادية تقف بالكاد على مشارف الدم الأحمر الذى انتشر فى الجلد بعد الاحتكاك المستمر بين عبده والبردعة.

مبعوث آخر من العائلة إلى مصر حيث التعليم الثانوى. محمد منذ سنوات فى مصر مع أعمامه فى شارع مسرة يقبل رتيبة حين يعود ليجد فى يده جنيهاً ذهبياً لأنه لا يشرب النبيذ الذى يقع برميله فى جوار الشباك ذى الهواء الرقيق.

‹‹يا عين أمك يا عبده كده برضه حتفارقنا؟››

‹‹يا وليه اقعدى ساكتة هو رايح يحارب. ما عمامه هناك هما ومحمد ودلوقتى ياخدوا بالهم منه ويبقى عال العال››

فى داخل جفون الحمار عماص أسود كحيل يحيط بالعين الكبيرة. تلى ذلك المنطقة البيضاء. أخيراً: الأسود العميق.



دائرة البياض بداخلها لون الدم. داخل كل بالطو عدد واحد طالب. الأجساد الحية تلتف حول الجسد المفتوح النائم. كل شئ داخل الفتحة يتحرك، إلا أن الفتحة نفسها جزء من الجسد الثابت. الضوء الأبيض يأتى من السقف فيلمع الأحمر القانى فى الفتحة. فى داخل عيون الطلبة السوداء، توجد الفتحة واضحة مما يدل على توحيد مصدر الرؤية والتركيز. فوق الخلفية البيضاء للبالطو توجد دوائر الزراير البيضاء. فى العرف الهندسى، الدائرة يمكنها أن تحوى خطاً والخط يصعب عليه احتواء الدائرة. العروة فى البالطو خط. خط أفقى عليه خياطة عمودية لمنع عملية التنسيل. البلاطى لايصح أن تبقى مفتوحة وإنما العكس لكى تحمى ما تحتها من ملابس خارجية وداخلية. ولكى يدخل الزرار من العروة لابد أن يتحول إلى خط أفقى، سمكه سمك العروة. وعندما يمر إلى الناحية الأخرى يستعيد شكله الدائرى. يقبض خط العروة على الفتل التى تصل ما بين الزرار والبالطو. فى الزرار أربعة خروم للخياطة. تمر الفتلة فى قطر مربع الأربعة خروم. ثم تعود لتدخل بياض البالطو وتصعد إلى أعلى فى فراغ خرم آخر. تدخله وترسم قطراً جديداً عمودياً على القديم. عدة مرات تتكرر العملية. ولإحكام الخياطة يلتف الخيط فى عدد ما من الدورات على خيط الربط فيما بين الزرار والبالطو.

فى عين عبده، المشرط يتحرك فى داخل الفتحة الموجودة على الثنى الأسود. يقطع الأنسجة ببطء يترك نقط الدم الصغيرة تتجمع لتسقط فى القطن الذى تحمله يد الممرضة. الطبيب المساعد يبدو ماهراً.

---

‹‹القطع هنا كان ضرورى عشان نوقف مصدر الألم اللى بيبعته العصب للمخ››.

مرة أخرى على الثنى، كان الخيط يدخل فى اللحم ويخرج منه. إحدى عشر غرزة وأسبوعان لكى يلتئم الجرح. فى النهاية، أسنان فتيات مصنع البلاطى تقطع الخيط وتتركه فى هواء داخل البالطو. صوت المريض المخدر. ‹‹تعاليلى يا مّا››.

فى البداية، من داخلها كانت معدة عبده تتقلص عند رؤية المشهد الأحمر أما الآن فكل شئ على ما يرام.

* * *

الخراء يندفع بقوة من الناحية العلوية فى البطن: المعدة، إلى المنطقة السفلية: الأمعاء. لم تستطع الأمعاء، رغم أنها تعتبر البنية التحتية إذا كنا نتحرك من أسفل إلى أعلى، أن تقاوم هذه الحركة السريعة للخراء. بدأت تمتلئ فى نفس الوقت الذى بدأ فيه عبده - من الخارج - يشعر بالمشكلات الكائنة فى الداخل. والجدير بالذكر أيضاً أن المدرس لا يسمح للتلاميذ بالخروج أثناء الحصة. هذه العلاقة الإشكالية الداخلية - الخارجية حاصرت عبده وهددته بسحق وجوده الواقع فى منطقة التلامس. ولذلك لم يكن أمام عبده إلا التحول إلى مجموعة متتابعة من الغازات تتم عن طريقها فيما بعد عملية تكثيف الوجود الإنسانى وتحويله إلى سائل فى سبيل تشكيل الصورة الصلبة النهائية.

بدأ عبده يخرج الغازات من المنطقة السفلية وكانت ساخنة ترتفع بطبيعة الحال إلى طبقات الجو العليا مروراً بالأنف إلى أن تصل إلى منطقة السحب. استمرت هذه الظاهرة لمدة خمس دقائق لم تنقطع فيها الغازات إلى أن امتلأت المنطقة الموازية لعبده في السماء بمساحات كبيرة من الرائحة.

عندما بدأ عبده يشعر أن الوجود قد بدأ يخرج من أسفله، انخرط في الدعاء لرب الملكوت ألا يكشف أمره وأن يبطئ من حركة الخراء في الأمعاء وأن يخفف من موجات الغاز. اقترب عبده من الله عن طريق غازاته ودعائه وبذلك أصبح قاب قوسين أو أدنى. ما زالت الرائحة تملأ المكان وتعالى صوت الهاتف الملائكي ‹‹الله يقرفك››. تعاطف رب الملكوت مع ملائكته وبدأ يسلط رهبته على عبده - الذي كان قريباً - مما أثار خوف الأخير وحول غازاته إلى عرق أخذ في الظهور على جلده. تحليل النظم يوصي بأن سحب الماء إلى الجلد يؤثر بطبيعة الحال على انسياب الخراء داخل الأمعاء. لم يجد عبده الفرصة لشرب الماء في منتصف هذه العملية. بدأ الخراء يجف ويلزم مكانه في ثنايا الأمعاء. انعكس هذا النجاح على نفسية عبده وبدأ يشعر بقدرته القوية على الاتصال بالله الذي يستطيع أن يتغلغل حتى في أمعائه ويخلصه من مأزق لم يكن هو ليستطيع الخروج منه بدون هذا الجفاف المبعوث من السماء.

* * *

الله الذى بيده كل شئ، عز وجل، جل جلاله. بيده الكاف والنون ويأمر الشئ فيكون. خلق الشجر والماء والنجوم. من نطفة إلى علقة، وصل الإنسان إلى الله فنفخ فيه من روحه وله أمرها فى الطلوع والنزول من السماء.

حبس عبده أنفاسه بدون أن يغلق أنفه وبدأ فى العد. عبده يلعب هذه اللعبة التى يلعبها كل من هم فى سن المراهقة. حبس الأنفاس لرؤية أكثر واحد فى الفصل يستطيع أن يستمر فى إجراء هذه التجربة. انتظار وقوف عقرب الثوانى على الثانية عشرة يسهل على حابسى الأنفاس تحديد الفترة الزمنية بدون نزاع. هذا التفصيل البسيط يمكنه أن يوفر الوقت اللازم لإجراء التجربة مرة أخرى.

عندما يستمر الهواء فى البقاء داخل الجسم لمدة طويلة، يبدأ «فكرى» فى الاحمرار. هو أصلاً شديد البياض. أمه انجليزية. البياض عليه بعض النمش نتيجة لعيوب التشطيب. تضيع هذه العيوب نتيجة لاحمرار وجهه ككل. تنهار محاولات عبده للاستمرار ويبدأ فى التخطيط للانتصار بشكل آخر. ‹‹الواد فكرى إستوى يا عيال››. محاولة فاشلة للإضحاك حتى يخرج النفس من فمه. يقوم بزغزغته. لا تجاوب. الثوانى قاربت على الخمسين.

يوجد فى الأدراج القديمة مكان لدواية كان يتم استخدامها منذ فترة طويلة للأقلام قبل جفافها. وضع عبده سن البرجل فى وسط الدواية

وطالب الصف الخلفي بالسكوت. كان «فكرى» مستغرقاً وقد تخطى حاجز الدقيقة. ‹‹طب يا عيال ما فيش حد يكلمه، استريح يا فكرى وحط إيدك على الدرج عشان ماتتعبش››. أه.. أه. ‹‹عشان تحرم تعمل مقالب تانى››. مسطرة الهندسة فى يد المدرس طولها متر. تنخفض بقوة فى اتجاه عبده. ‹‹يا نهار أسود››. فى لحظة التصادم تأخذ اليد لوناً ناصع البياض. ثم تبدأ فى الاحمرار مع وجود شعور بالتشويك أو بالتنميل. إبر كثيرة يمكن الإحساس بها فى يده، تؤلمه ولا تنتهى. ‹‹بجد بتوجع››. ضربة أخرى على اليد اليسرى قد تقوم بالموازنة. أنهى الرجل مهمته وبدأ ظهره يبتعد. ‹‹هو ربنا مش حيتوب علينا من المدرس المفترى ده››.

* * *

ثلاثة أدوار هى المحكمة ذات الميزان. درابزين السلم حلزونى حول الأسانسير الذى يعمل فى سره. العواجيز الذين يحتاجون إلى الدور الثالث يعانون من ثنائية اللحم والقماش. يحتاجون إلى الدرابزين كنوع من المؤازرة. يضع البعض يده اليمنى فى الصعود فتتسخ لملامستها طبقة التراب الكثيفة. يضع المنديل تحت يده فيستأثر الأخير بالطبقة لنفسه. وعند الانتهاء من النزول يصبح وجه المنديل فى حاجة للتنفيض. يظل لون التراب مخالطاً لقماش المنديل الأبيض ويجعل العجوز هذا الوجه ملاصقاً لقماش البنطلون، لحفظ ماء الوجه، فى أثناء

دخوله فى الجيب. فى زمن آخر، قد يعبر طفل صغير أقصر من ركبة العجوز فيرى وجه التراب المختفى فى الجيب. فيشكل تناقضاً مع الوجه النظيف وتناغماً مع تراب بلاط المحكمة. أما الآخرون الذين يخشون على قماش مناديلهم، فإن اضطراب دقات قلوبهم يؤثر على توزيع ذرات التراب الملاصقة لأيديهم على الدرابزين. وهذا يتضح فى تقرير المعمل الجنائى. يحدث هذا كخلفية لظهور عبده فى المحكمة بعد مروره من الباب الذى يمكنه استيعاب الكثيرين. إلى اليمين، مكتب الاستعلامات. متابعة قضية الأرض فى الأساس مهمة جلال بصفته محامى. ساعى يجلس أمام المكتب. قدم على الأرض والأخرى فى الهواء. رؤية عبده ذى البدلة النظيفة تغرى الساعى المعتز. القدمان تصبحان فى وضع متساوٍ على الأرض. فارق الطبقات ما زال قائماً.

‹‹قاعة ٥ فين والنبى؟››

‹‹يا راجل أنا إفتكرتك حتسأل على رئيس المحكمة››.

المونولوج الداخلى للساعى.

‹‹عندك فى الدور التالت››.

يصبح عبده فى بهو المحكمة. السقف مربع. إذا بعثت الزوايا القائمة إسقاطاتها إلى الأرض، يصبح عبده محصوراً داخل مربع السقف. أهم شئ أن الأسرة فازت بالقضية بعد ذلك.

* * *

---

النقطة التى تهبط فوق رأسه لن تتوقف. كان يعرف مصدرها. السيفون القديم المعلق فى السقف بدون فائدة لضعف المياه اللازمة للدفع وليس للتنقيط. تلك المياه لا تصل للمستويات العليا فى الأدوار العليا. عبده يسكن فى الدور الخامس. المساحة التى كانت تقطعها النقطة من قعر السيفون إلى داخل دغل الشعر الخاص بعبده كانت تحتاج لفترة زمنية معينة مما يسمح للجلد بحد أدنى من الراحة. الخبرة التى تراكمت لدى عبده خلال تعامله مع هذه النقطة أوصلته إلى أن وضع نصفه الأعلى الحالى هو الوضع المثالى. (النصف الأسفل لا يستطيع أن يتحرك لإرتباطه العضوى بفرقعة ماء الكابينيه). فهو إذا تحرك بجذعه للأمام قليلاً فسوف تسقط النقطة فى قفاه على طريق مؤخرته مما يصيبه برعشة تولد لا إرادياً علاقة شاذة لالتصاق المؤخرة بالشطافة. تتولد حالة غامضة من الاستياء نتيجة لهذا الشعور. وإذا مال إلى الأمام أكثر فسوف تسقط النقطة على مؤخرته بالضبط مما يولد شعوراً بالألم نتيجة لبرودة النقطة المتضامنة مع تيار الهواء العابر لشباك السلك الخلفى متزامناً مع النقط. ولذلك كان على عبده أن يضع فى الحسبان هذه الخيارات مع عدم نسيان ‹‹ياللا يابو طيز عريانة›› التى تعبر السلك مع الهواء آتية من حناجر أطفال السطوح.

إذا انتقلنا إلى الآثار العلوية لعملية التنقيط يمكننا أن نرى مدى تأثير الرطوبة على طبقة البياض التى تغطى الجدران. دخلت الرطوبة فى

لب تلك العلاقة. أصبحت العلاقة باردة وجافة. أخذت قطع البياض التى ما زالت تبقى على حبال الود فى اتخاذ أوضاع الشقاق. العلاقات الثنائية لا تمضى كلها بنفس الشكل بطبيعة الحال. فنجد بعض القطع الملتصقة تتحرك إلى أسفل متابعة القطع التى سقطت بالفعل والبعض الآخر قد امتلأ بالهواء وانفصل عن الجدار فى المنطقة الوسطى بينما لا يزال ملتصقًا فى الأطراف. كم التنويعات يؤدى إلى حدوث تأويلات مختلفة للأشكال الموجودة. اللمبة التى تقع أسفل السقف بحوالى متر، كانت تعتبر فيما وراء قطع البياض بالقياس إلى الجدار المعد للعرض. ولذلك ألقت بظلال واسعة على الجدار حتى خارج الشباك السلك. باختلاف الفيل والوجه والحذاء والكلب على الحائط، كانت تتفاوت مشاعر الفرحة والخوف لدى عبده.

* * *

بدأ الكلب يقترب منه. لم يهتم. كان معتاداً على مثل هذه المواقف خاصة عندما يكون بمفرده. وبذلك اقترب الكلب أكثر نتيجة لعدم وجود رادع أمنى يمنعه من تخطى الخطوط الحمراء التى يمكن اكتشافها إذا استخدمنا أداة حادة لشق جلد عبده. ولأنه ما زال يحمل فى رأسه كأسين الويسكى - بما يعادل خمس الزجاجة التى تم اقتسامها - فلم يستطع أن يقدر معدل اقتراب الكلب. ارتفع نشاط الكحول فى مستوى

طولى فظهـرت عـدة نسخ من الكلب تداخلت على نفس الخط فى مواجهته. ثم ما لبث الكحول أن تمدد فى مستوى عرضى. وبالتالى تمدد جسمه أيضاً فى نفس المستوى ليكون ما يسمى بطيف عبده. ولأن رغبة الامتلاك رغبة عزيزة على الإنسان فقد تمسكت كل نسخة من الطيف بكلبها الخاص. وكانت المحصلة عدة نسخ كلبية بدأت فى الجرى وراء عبده. فى هذه اللحظة اختلطت كل المستويات فى رأسه وبدأ يعدو بقوة متخطياً شريط الترام إلى الشارع الضيق الذى يصله بالكورنيش. رغم هذا المجهود ونتيجة لأن الكلب لم يكن له نصيب فى زجاجة الويسكى، فقد تعلق بساق عبده اليمنى. حاول أن يتخلص منه إلا أنه فوجئ بآخر يتعلق بساقه اليسرى. تأكد عبده من حقيقة الوهم. عندما ارتفع الثالث من المستوى الأرضى إلى أعلى الذراع اليمنى كانت آلام عبده وخوفه قد وصلوا إلى النقطة الحرجة. تحولت هذه النقطة الحرجة إلى نقطة الانفجار. آلام عبده كانت أقوى من تحمله، وهو مخلوق بشرى. تواصلت الرغبة فى الصرخة فى كل الأماكن الثائرة فى جسمه. ليس هناك سوى منفذ وحيد لإصدار صوت مفهوم: الفم. هذه الفتحة بطبيعة الحال لم تتسع لكم الغضب الذى كان متركزاً فى المنطقة العلوية من عبده. لا يمكن التفكير فى استخدام مناطق الإخراج فى مثل هذه المواقف. بدأ وجهه يصرخ وذلك عن طريق فمه

وفتحات العرق ـ الملائمة للخوف ـ التى أخرجت كل ما في داخلها. وعى الكلب المتيقظ وقوة الصرخة أديا إلى انسحاب الكلب، هو وفروعه التى تعلقت بباقى أطراف عبده.

عندما نزل عبده من فوق سقف السيارة التى كان قد اعتلاها أثناء صرخته، كان الغفير المكلف بحراسة المنطقة ما زال جالساً أمام الشيشة محاولاً الضغط على الفحم ليساعد على اشتعال المعسل وتعمير رأسه.

# ثنائيات

**تم** تمكين الطفل عبده من المنطقة الواقعة بين نهدى رتيبة وعانتها. استقرت مؤخرته على السرة الملاصقة لها فى جسم أمه. بدأت أصابعه تعبث بالنقوش الصغيرة البارزة فى الجلابية الملونة - التى فوتت الفرصة على المغرضين فى الجموح بخيالهم - التى تغطى أعضاء رتيبة. بدأ ينظر بلهفة إلى الثلث الأول من جسم أمه التى تقع حلمتاه فى مجال رؤيته. وصلت اللهفة إلى أصابعه فبدأ يحاول الإمساك بإحدى الحلمتين. تألمت وتنبهت رتيبة إلى رغبة عبده. أطلت بثديها الأيمن من فتحة الجلابية ووضعته على القماش المتين. قطعت بحركة جسمها القطر الوهمى الذى يمتد من اليسار إلى اليمين حيث يوجد عبده فاتحاً فمه، معبراً بذلك عن الرغبة الدفينة فى ابتلاع هذه الحلمة المنتصبة المتوجهة إليه. تم اللقاء وبذلك بدأت عملية الرضاعة تحتل مركز الصدارة بين

العمليات البيولوجية التى يتعرض لها عبده. كنتيجة طبيعية بدأ الجسم فى إفراز طاقة ملازمة لعملية الرضاعة. تحولت هذه الطاقة إلى ألوان حمراء ظهرت على جلد عبده وبدأ ضوء خافت فى الانبعاث. استجابت الأم إلى هذه الألوان ولمعت فى عينيها نظرة الرضا والارتياح خاصة عندما أحست باهتزازات عبده ومصمصته لحلمتها. كانت هذه علامات العبث التى يعلنها عندما يبدأ فى الاكتفاء.

وتأكيداً لمعنى الارتباط، يعلو صوت عبده بالبكاء عندما تسحب رتيبة حلمتها من فمه الذى توجد فيه أسنان صغيرة تحتك بلحم الحلمة. يظهر محمد يوسف أمام رتيبة. ينظر إلى التكوين الثنائى الذى فقد التحامه منذ لحظات قليلة فقط. ‹‹هو الواد ده مش ناوى يسكت ولا إيه››. لحسن الحظ أن محمد يوسف وجد الوقت لينهى جملته. إلا أنه تلقى الرد على الفور فى صورة تيار ساخن عنيف من الماء اصطدم بعظمة أنفه وبدأ ينحدر إلى الأراضى الواطئة فى عينيه. كان التغير المفاجئ فى ذبذبات الهواء المترددة فى المكان، عن طريق أصوات البشر، قد أزعج عبده فلم يتحكم فى إفرازاته السفلية. تغير آخر فى الذبذبات نتيجة لحركة يدىّ محمد يوسف العنيفة حمل رتيبة من مكانها لتختفى بعبده من أمام محمد يوسف هذه الساعة.

* * *

# الحياة الأخرى

**التصق**

عبده بالكنبة فى المكان الذى يواجه منتصف المرآة عند الحلاق. المرآة تعكس رأس عبده كجزء من الأرابيسك الذى يتفاعل مع خلف الرأس بمعاييره الخاصة التى تفرضها تركيبات العاشق والمعشوق. بعد فترة تبدأ خطوط الدم فى الاضطرار إلى تفادى التشكيل الذى أحدثه الأرابيسك فى الجلد وبالتالى خلق مساحات جديدة من الفراغ الذى يربط الجلد بعظم الرأس. لحسن الحظ أن طبقة الشعر الكثيفة قامت بتخفيف العبء عن الطبقات التى تليها من التكوين الرأسى. الشئ المختلف هو الذى يثير الانتباه ولذلك تم التعامل مع رأس عبده، ذى الوجه المواجه له دائماً، باعتباره متلقياً للأشياء المحيطة. الشعر الذى يقترب من مرحلة السيولة المرتبطة بالحلاقة بدأ يتجمع لخلق الفجوات اللازمة لتمرير قطع الخشب الصغيرة التى بدأت فى البروز من التركيبات نتيجة لعوامل التعرية. بدأ الوخز يزداد بشكل مؤلم لذيذ. بدأت فى غرز

أظافرها الطويلة فى جلد الرأس. اجتاحته الرغبة فى أن يرد غرزها بقرصة خفيفة فى حلمتها. قوانين الطبيعة المنطقية تصدت للحركة الدفينة الكلية التى بدأت فى اجتياز الشبكة العصبية. وبالأخص القانون التالى: نظراً لتعدد وظائف المخ ولفروق القياسات الفيزيقية بين المخ والمنطقة المثيرة من النهدين إلى ما قبل الركبتين، فقد استقرت صورة العانة فقط - تبعاً لأهميتها النسبية - فى ذهن عبده وهو يتحرك على الجسد الموازى له. بمعنى أوضح، فرضت العانة إيقاعها على الممارسة. إذاً الإيقاع كان إكمال الفراغات. تحرك عبده للدخول. واجهته المشكلة التقليدية التى تتلخص فى أن النقط التى يتم الكتابة عليها فى هذا النوع من الأسئلة مهمة الممتحن. فى حين أن التنقيط الجنسى عملية ذكورية خالصة. تحرك عبده بغريزته المتحكمة فأسال ما بين النقط. تحولت النقط إلى خطوط. بدأ فى تحريك عضو الكتابة فى حركات عنيفة أدت إلى خلق لغة بكر فى اختراقها للمألوف. ولذلك تم اعتمادها من قبل الطرف الآخر الذى بدأ يشكل من خلال حركة يديه آلام وجه عبده. ‹‹برضه ضوافرك تانى، هو انتى مش ناوية تجيبيها لبَر››. الأمر بحاجة للتأكيد واللغة الجديدة أثرت على مساحات وظائف المخ وفتحت آفاقاً جديدة للممارسة. أعاد عبده قراءة أبجديات الممارسة الجنسية من الفم إلى النهد إلى العانة حتى القدمين. اطمأن وارتدى ملابسه.

* * *

---

جلس عبده يأكل فى صمت. جلس على مائدة فى مواجهة مائدة أخرى عليها رجلان يدور بينهما حديث خافت. الذكر منهما ينظر إلى مائدة مجاورة لعبده عليها أنثى دافئة كما يتضح من صوتها. شمس الثانية ظهراً فى يونيو كانت قوية. الرجل كان يرتدى نظارة شمسية إلا أن النظرة كانت واضحة من حركة وجهه الذى كان يميل ناحية اليمين خاصة عندما يصدر الصوت الدافئ. الوضع المكانى والاجتماعى يمنعان عبده من الاستدارة إلى يساره لرؤية الأنثى الدافئة. العلاقات الجنسية تكون أكثر استجابة للاوعى. هذه الرغبة المكبوتة تحاول التواصل مع الأنثى. الزجاج العاكس للنظارة الشمسية يمكنه أن يمهد للتواصل إلا أن عبده سرعان ما يكتشف أن درجة ميل رأس الذكر لاتكفى لإحضار الأنثى على الزجاج. هناك دائماً الحل البديل. تغيرات الوجه السعيد لصاحب النظارة يمكنها أن تحقق الحد الأدنى من الدفء.

حرك الذكر ملعقته فى الطبق وصعّدها فى اتجاه فمه. ‹‹شوية سلطة لو سمحت››. هذا الصوت الرقيق العذب حقق السعادة لعبده عن طريق الذكر الذى بدأ فى الابتسام. فى الوقت نفسه وصلت حبات الأرز إلى فمه. لا بد أنه يستمتع... كان عبده - فى سبيل هذه السعادة - مضطراً لتقديم بعض التنازلات. منها على سبيل المثال، الخطوط الطولية الغبية للجرسون الذى يقطع مثلث النظرة القائم بين الثلاثة أطراف.

استمرت هذه المناوشات إلى أن انتهى الذكر من الأكل فى نفس الوقت الذى كانت الأنثى فيه تدفع الحساب. انتظر عبده تحرك

الطرفين الآخرين لكى يستطيع بأى شكل النظر لوجه الأنثى. تخطى الذكر طرف مائدته فى اللحظة التى كانت فيها الأنثى تعبر الممر الضيق. لم تصدر هى أى صوت. اصطدم الذكر بها بدون أن يشعر. لحظة الغضب تملكت من الأنثى. ‹‹هو أنت أعمى؟›› . انزعج الذكر وتعدت دموعه حاجز النظارة بما يؤكد صحة المقولة. لحظة الندم حانت. ‹‹أنا آسفة›› . الفتاة ما زالت تقف أمام عبده. اللحظة مناسبة. نظر إليها. لم تكن جميلة.

* * *

وجبة الغذاء هى الوجبة التى تحتل المساحة الكبرى من مخصصات الطعام المسموح بها للإنسان. وكأية وجبة أخرى، يعول الإنسان على الغذاء فى الحصول على البروتينات والفيتامينات والأملاح. وهذه المكونات الأساسية يمكنها أن تكون موجودة كلها فى البفتيك.

والبفتيك يكون قد خضع لعملية تتبيل من قبل «إنعام». ثم تم تغميسه فى البيض المضروب لكى يجد البقسماط مخدة ناعمة فى استقباله عند وصوله إلى سطح البفتيك للالتصاق. عادة ما تحاول «إنعام» تجهيز عدد القطع بحيث يكون قابلاً للقسمة على أربعة. بعد احمرار وجهى الاثنتى عشرة قطعة، تأتى لحظة القسمة بحيث ينال بطبيعة الحال كل عضو ثلاث قطع. إلا أن القطع ليست متساوية الحجم مما يدفع «إنعام» إلى التحايل لتمرير القطع الكبيرة لأبو اليسر وبيب. عبده يقبل على مضض ويحاول التدخل بدوره للتأثير على نصيب إنعام.

‹‹مالك يا عبده ملهوف على الأكل كده ليه... كنت زمان بتبْدَينا على نفسك›› .

‹‹ماانا لقيتكم ما تستاهلوش›› .

عبده تخطى سن المعاش ولذلك يحاول التشبث بالبفتيك المتعلق بالقيمة المجردة للحياة. انتهت عملية التقسيم وبدأت إنعام تراقب تصرفات الآكلين.

‹ما تاكل يا أبو اليسر قبل ما الأكل يبرد›› .

درجة الوعى العالية لدى أبو اليسر هَدَتْه إلى دفن قطع البفتيك غير المستخدمة آنياً فى وسط الأرز الساخن لكى تحتفظ بحرارتها حتى تأتى لحظة تصعيدها للأكل. مستويات الوعى المختلفة تتحقق عندما يقوم بيب بضبط إيقاع التزامن بين كم الأرز وقطع البفتيك بحيث لا تجد حبات أرز قليلة نفسها وحيدة فى عالم بارد من البفتيك أو العكس.

تمضى عملية الغذاء نحو مراحلها الأخيرة. ينتهى الوالدان أولاً كنتيجة طبيعية لحصصهم القليلة نسبياً. فى حى ينتهى «بيب» قبل أبو اليسر لسرعته فى الأكل بدون مضغ مما يتسبب فى نزول مفردات الغذاء مع الخراء فى أشكال قريبة من تلك التى قابلت الفم.

ثم يأتى دور الحلو وهو البرتقال اللامع الجميل وينهمك الأربعة فى تقدير التفاوت النسبى لأحجام البرتقالات الأربعة.

* * *

وضع عـبـده طرف السكين الحـاد فى وضع مـائل يلامس جلد البـرتقـالة فى المكان الذى تقطف منه تاركـة الأوراق فى الشـجـر أو مصاحبة لها حتى تصل إلى يد البائع فالمشترى الذى ينزعها حتى لا يؤثر تراكمها فى الميزان. بدأ يحرك يده فى شكل دائرى حول محور عمودى يقابل طرفه الأعلى أنف عبده بينما يرتكز الأسفل على سرة البـرتقـالة. فى أثناء الحـركـة الدائرية، يقطع السكين حـبـوب الزيت المتراكم تحت السطح الخارجى للقشرة مما كان يؤدى إلى انطلاقه فى موجات من الرذاذ المتتابع نحو الأنف وفتحاته المسامية الدقيقة التى تستقبل الزيت وتضعه فى قواعد استقرار جديدة. أو ينطلق الرذاذ نحو العين ليظهر الشرايين ذات اللون الأحمر. وقد كان فى القشرة شق أسود عميق نتج أثناء عمليات التحميل فى الأقفاص فى حدائق الموالح. إذ يحاول الإنسان رص أكبر عدد ممكن من البرتقالات فى نفس القفص فيؤدى ذلك إلى غرز الجريد فى جلد البرتقالة فتنفتح. ثم يأتى الغبار فيرقد فى ثنايا الفتحة فتسود. والبرتقالة جسم كروى لا يمكن مشاهدته كاملاً أثناء النقاوة. ثم تنتهى عملية التقشير. المادة البيضاء تفصل بين القشر البرتقالى وحبوب الماء البرتقالية.

«هو الواد حنفى مش ناوى يجيب إيراد العربيتين ولا إيه؟»

«دلوقتى يجيبهم يا إنعام يعنى هو حيسرقهم وهو كل يومين بيبعتلنا شوية فاكهة».

عندما تنفتح البرتقالة يظهر الشكل الداخلى لسرتها مختلفاً عن الخارج. كبيرة من تكوينات عديدة من الفصوص غير المكتملة.

---

الفصوص المكتملة تلتقى بالكاد عند الطرف الأعلى مع عمود الليف المرتبط بالسرة. إلا أنها تتوقف أسفل عند القاعدة الحقيقية للسرة ولا تلتقى. ثم تبدأ عملية الأكل الفعلية.

‹‹ ده الواد حنفى ده زى ابنى وأنا اللى مربيه.. انتى مش فاكره لما كان أبوه بيبيعته بالفاكهة يوصلها لغاية البيت. أمال أنا استأمنته على مالى من شوية››

‹‹خليك انت بقى مستريح وحاطط فى بطنك بطيخة صيفى لغاية لما تلاقيه بيّعنا اللى ورانا واللى قدامنا على العربيتين الفقر دول››.

طين أرض عبده تحول إلى إطارات على الأسفلت.

‹‹يا إنعام والنبى كلميه يا بنتى خسارة يبيع ورثه››.

رتيبة الحزينة.

‹‹هو ده برضه يا حماتى بيسمع كلمة لحد... طول عمره كلامه من دماغه››.

دائماً تدخلات عبد العزيز زوج الأخت غبية.

‹‹حنفى حيوكلكم بالعشرين ألف جنيه فاكهة››.

فكر عبده أن ‹‹آه يابن الكلب››

* * *

‹‹إوعى يا بيب تبلع البذر لحسن يِنَبِتْ جوه››.

حرك عبده وجهه إلى أسفل وبدأ يبتسم فى أكمامه التى كانت تتلقى فى ثناياها بذر البطيخ المرتد من الترابيزة الفورمايكا. من وجهة النظر الإكلينيكية التى يخضع لها عبده بحكم تكوينه الطبى، كان بلع بذر الفاكهة الصلب يسبب آلاماً فى المعدة نتيجة لمصاعب الهضم التى تصاحبه خصوصاً لمن هم فى سن «بيب» الصغير.

الفكرة براقة. البذور هى أساس الساق ثم الورقة ثم الزهرة ثم الثمرة ثم البذور. والبذور لأنها صلبة لن تستطيع المعدة التغلب عليها فتقوم بتمريرها للأمعاء الغليظة حيث الخراء. والسابق سماد طبيعى يمكنه أن يؤدى إلى إنتاج أفضل الزراعات. «وخلقنا من الماء كل شئ حى». والماء يصل عبر نفس السبيل إلى نفس المنطقة فيقوم بريها. وبيب قمحى اللون يمتص الشمس ويقوم بتخزينها فى شكل طاقة تساهم فى تنشيط عملية التمثيل الضوئى. فى بلطيم تتم زراعة البطيخ فى جبل النرجس حيث تنام ثمار البطيخ المكتزة فى أخاديد رفيعة من الرمال فتبدو للواقف على قمة الجبل تلافيف طويلة. الصورة الأخيرة تكفى لبث الرعب فى قلب عبده الذى يتصور وجود بطيخة متوسطة الحجم فى قُم المعدة. يبحث بيب بلسانه فى وسط اللحم الأحمر عن اللب الشرير. الشر لونه أسود. حتى اللب الأبيض الضعيف الذى لم يكتمل نضجه داخل البطيخة، كان بيب يبحث عنه ليقذفه على الفورمايكا تاركاً إياه لضميره ليختار أى وجه يصطدم به بعد انفصاله عن

الفورمـايكا. فقط اللب الهوائى حيث يوجد غشاء رقيق بداخله فضاء، يفرقعه بيب ويسحب الناتج مساهمة فى تهوية المعدة. بعد الحلو، تقوم إنعام بجمع اللب الناتج بكل حرص. تحت الحنفية، تقوم بغسله جيداً مع فصل اللب الأبيض عن اللب الأسود. فى المساء، فى الطاسة السوداء، تضع إنعام اللب المنتقى على النار. فيبدأ اللب فى الطقطقة وعندما تلسعه النار فى أسفله يترك الطاسة وينطلق إلى أعلى. بعد انتفاخ الحبات، ينهمر الماء بالملح على الساخن فيبرد ويترك بينه وبين بعضه مساحات تحتلها الرغاوى البيضاء المملحة. بعد لحظات، تتحول الرغاوى إلى بخار. ويتم نقل اللب إلى طبق بلاستيك ليهدأ. فى الوقت نفسه، تترك الطاسة دخاناً كثيفاً بعد أن تلمسها المياه الباردة.

‹‹تعالى يا بيب أزأز شوية لب››.

* * *

فى الترام، كان عبده يجلس فى الكرسى الذى تكون القدم اليمنى للجالس عليه محشورة بين أقدام الركاب الثلاثة الآخرين فى حين أن القدم اليسرى تكون عرضة لتتابع دهس أقدام الركاب فى الممر. قشر اللب يتشكل على التراب الكثيف. وأمامه إلى اليسار كان هناك شاب يقف أمام فتاة مستندة إلى الشباك. ولحسن حظ عبده، كان لايرى سوى وجه الفتاة الذى يثير عضوه، فى حين أن الشاب كان يخفى

وجهه بقفاه المواجه لعبده وتظهر فقط يداه التى تختفى للحظات فى الفراغ الجوى الموجود بينه وبين الفتاة ثم تعود لتظهر.

المنطق الثنائى للظهور والاختفاء جعل عبده ينقسم إلى اثنين عبده، وذلك على خط مستقيم مائل يصل بينه وبين مكان العانة المقابلة له. تحرك عبده الثانى على الخط فى اتجاه الفتاة. عبده الأول استمتع بشدة لاختفاء الشاب من أمامه واصطدامه بوجه الفتاة وإحساسه بسخونته. (الانقسام يحدث فى الوقت الذى تكون فيه حواس عبده منصرفة إلى بروز بطنه). بدأ عبده الأول يتحرك على جسم الفتاة من خلال عبده الثانى الذى كان ملاصقاً للفتاة فى تلك اللحظة بينما تغاضى الأخير عن وجود الشاب بينه وبين الفتاة عن طريق عبده الأول الذى لم يكن يرى الشاب بسبب وقوف عبده الثانى، بجسمه الفارع، فى نفس المكان بالضبط. استمتع عبده بشقيه أيما استمتاع ووصل إلى قمة لياقته وبدأ يلعب بالبيضتين. ولكن للأسف لم يراع عبده أن بروز بطنه قد استطال ليمتد موازياً لقدمه اليسرى التى تتعرض لأسفل أقدام الآخرين. وبالتالى يمر الكمسارى ليحتك بخلفية عبده الثانى الذى يتراجع بسرعة ليلتحم بنصفه الآخر الذى بدأ يشعر بأنات البروز وترك بضعة قطرات لتسقط على الأرض.

انتهى مرور الكمسارى. ما زال الشاب يمارس المنطق الثنائى. كانت الأرض جافة أمام عبده الذى ما زال يعانى من وقوف الشاب بينه وبين الفتاة.

* * *

على البـاب، مـا زالت النقط ذات اللون الأبيض الكثـيف تصطدم. مـعاملات الانحـراف. كـان بعض الرذاذ يتـحـرك فى الاتجـاه المضـاد للقذف تاركاً النقط تسيل على الباب. بقعة صغيرة من اللون الأبيض على الأرض لا تدخل الغرفة. محـمد يوسف ورتيبـة بالداخل. عـتبـة الباب مرتفعة. ممنوع على الضفادع الدخول إلى غرف النوم. الغرفة خلف الباب كانت مظلمة. فى أفلام مصر دائماً كانوا يغلقون الباب ثم الأنوار. ثم تبدأ مشاهد الحب. الكوز يصطدم بالطشت كثيراً فى الفجر. كانت أصوات التـأوهات تصل إليـه. الباب كـان مغلقاً. لم يكن مغلقاً بالمفتاح. وضع عبده عينه على البقعة المظلمة المجوفة فى الباب. لم يشاهد شيئاً لكنه ظل يسمع التأوهات. ‹‹انت عارف يا اسماعيل إنى أقدر أنام وأنا فى دمـاغى إنى أحـتلم أقـوم من النوم ألاقى كله تمام››. هنيـة.. الجلابية تلتـصق بلحـمـها. ‹‹هنية كل حـاجة فيـها حلوة››. شارع مـسرة. الشبـاك أمـامـه شبـاك المرأة التـى يعرفون عنهـا العطاء. تظهـر فى الضـوء فـيشع جـسدها الأبيض. الجـلابيـة التـريكولين فى بلكونتـهـا. نظـرتهـا تزيد خـروج العـرق من المسـام. ‹‹إبقى خلـى بالك وانت بتنشر يا روح أمك››. جسد المرأة. النهدان والعانة... وجـه ميكى مـاوس. من الداخل: المبيـضـان والمهـبل... ميكى مـاوس. هدايا سـوبر مـيكى: ‹‹افـتـح هنا من فـضلك››. كل شئ مـثـيـر. الرعـشـة أصـابتـه. البطانيـة انزاحت من على جسده. الهواء أصابه بالبرد. فتح عينيه.

البقعة البيضاء هادئة. فى أوائل العشرينات من عمره فى شارع مسرة.
كان حلماً جميلاً.

* * *

عندما تتعامد الوردة الحمراء على الساق المغروسة فى الطين، تكون قد انكسرت. هى الآن فى الهواء معلقة فى يد عبده المبتعد. نقطة لبنية تظهر فى أعلى الساق. تصبح كرة كثيفة. عندما يصبح قطر الكرة على وشك أن يتعدى قطر الساق، تهبط الكرة من أعلى إلى أسفل. تبعاً لدرجة ميل الساق، تجتاز الكرة التراب الخفيف الذى يغطى الساق وتخلق درجات مختلفة من الأخضر الزرعى. ‹‹شايفة الفردة الخضرا دى››. الحذاء ذو التكوينات الخضراء يمتلك عقل إنعام. تستمر النقطة اللبنية فى الهبوط... سكر الفراكتوز يحتضن ملايين الحيوانات المنوية. البعض يعوم على السطح والآخر يغوص. وفى داخل الساق يوجد عمودان من الألياف. الأول وظيفته علوية. بمعنى أنه ينقل الماء والسماد إلى أعلى فتظهر الأوراق على جانبى الساق وتنفجر الوردة. أما الثانى فبالعكس. سكر الجلوكوز ناتج التمثيل الضوئى يذهب إلى أسفل لإتمام عملية التغذية.

‹‹شايفة الوردة دى قد إيه جميلة يا إنعام؟››

‹‹أيوه .... بس لونها أحمر››

‹‹ماهى عشان كده حلوة››

‹‹بس أنا ما باحبش اللون الأحمر››

‹‹صحيح!››

صمت

‹‹أمال بتحبى انهى لون؟››

‹‹أنا؟... أنا باحب اللون الأصفر››

‹‹الأصفر!››

‹‹أيوه››

‹‹بس الأصفر لون حسود... لون الغيرة وأنا ما باحبش الغيرة››

‹‹يعنى انت ما بتغيرش عليا؟››

‹‹لأ ما باغيرش لإن ما فيش حد يقدر ياخدك منى››

نظرة إنعام الساكنة تصطدم بسطح الليمون ثم تذهب إلى صف الزهور القريب. الوردة كائن مخنث فيه الذكر والأنثى جنباً إلى جنب. بعض الورود تنغلق على نفسها فى المساء.

* * *

ذبابتان فى الهواء تلتقيان. تصبحان على طرف الوردة الزرقاء المحاطة بالخلفية البيضاء لركبة بيجامة عبده. للناظر من أعلى، الأربعة أجنحة تصبح اثنتين. تعاريج الأجنحة الشفافة تختلط فتشكل موزاييك

وحشى. ساكنتان. ثم ترتعشان ارتعاشة خفيفة ومركزة. تنفصلان وتتركان الورقة.

عيون عبده مع هباب مدخنة المطعم أعلى العمارة المقابلة. عش الزوجية فى الدور الخامس. والعمارة فى ميدان الأوبرا. سرة البلد حيث تكثر محلات المجوهرات ووردیات الحراسة خوفاً من الطامعين. زحام رهيب. ولأن منطقة الميدان منطقة جذب بشرى فالذاهب إليها يعانى بشكل مكثف. الكل يذهب إلى وسط البلد ولكن الكل لا يذهب إلى الروضة حيث مقر عائلة إنعام.

كان عبده كريماً مع عائلة زوجته. يعطى ولا يأخذ. يحمل أكياس الفاكهة إلى حماه ويضعها على البوفيه دون أن يخطر أحد بما أحضره. فكان بيب يأكل الموز المجهول الهوية لتظهر الدمامل فى مؤخرته فلا يستطيع الجلوس. أو قد يحدث أن ينقطع الهواء عن الدخول فيقلبه عبده فى وضع زرع البصل حتى يفرغ ما فى معدته فيعود الهواء للمرور. وعبده هو الذى وضع يد الجراح بمشرطها فى مخ ابن خال أطفاله لتستخلص ورماً فى حجم عين الجمل. كان عبده لا يدرك أن مشكلة المرور يمكن أن يكون لها مردود سلبى على المدى الطويل.

‹‹أنا يا إنعام إخواتك يهملونى فى إبن عمى وانا اللى باروح وراهم فى كِل حتة. طب حتى كانوا يبعتوا واحد منهم لو الباقيين مش فاضيين. لكن أبقى واقف كده بطولى مافيش حد من أهل مراتى جنبى. ده حتى ما يصحش،والله ما أنا معديهالهم››

‹‹معلهش ياعبده الدنيا مشاغل››

‹‹مشاغل إيه ده حتى عرفوا إنى رجعت تعبان شوية ما حدش فيهم كلف خاطره ورفع سماعة التليفون يسأل عليا››

‹‹يمكن النمره ما بتجمعش ياخويا››

‹‹قفْل كده والله ما هم داخلينه››

‹‹تانى يا عبده››

فترات القطيعة والوصل شكلت مركباً عضوياً فى حياة إنعام كما يرتبط وجود الباب بمتغير الفتح والغلق.

* * *

مقادير عمل القُرَص*

| | |
|---|---|
| ١ كيلو دقيق | ١ ملعقة صغيرة شمر |
| ١ ١/٢ : ٢ كوب سمن | ١/٢ ملعقة صغيرة ملح |
| ١ ملعقة سمسم كبيرة | ١ ملعقة صغيرة يانسون |
| ١ ملعقة سكر | قليل من الماء الدافئ |

١ كوب لبن دافئ للعجن

قطعة خميرة بيرة بحجم عين الجمل

(*) الرجاء الرجوع إلى كتاب ‹‹دليل الأسرة›› عديلة عزيز ص١٤١

فى المطبخ، تبدأ إنعام فى تحميص السمسم، بعد تنقيته جيداً، على نار هادئة. هدوء النار يؤدى إلى خلق نوع من الوسادة الحرارية تحت وجه السمسم الأسفل الملامس لسطح الطبق الساخن على عكس الذى يحدث فى حالة النار العالية من قفزات عالية. فى طبق بلاستيك صغير، تقوم إنعام بدعك الخميرة بيرة مع ملعقة السكر إلى أن تصل بهما إلى حالة السيولة. لابد لإنعام من التركيز جيداً فى معطيات الحالة الراهنة وإلا فإن عملية الدعك هذه قد تؤدى، بسبب تشابهها مع طريقة عمل الطحينة، إلى إضافة مقادير لا تتعلق بالعملية الحالية. ونتيجة لهذا الخطأ قد يتم رمى المدعوك كله والانتظار إلى أن تتخلص قطعة جديدة من الخميرة بيرة من برودة الثلج الذى يتخللها. ولتفادى كل هذا الاستطراد التافه، وجب التنبيه. ثم يتم تغيير الطبق وإضافة الماء إلى الخميرة بيرة والسكر ثم يترك كل هذا بعد تغطيته لتوفير ظروف التخمير.

بعد المرحلة السائلة، تأتى مرحلة تالية جافة يتم خلالها نخل الدقيق والملح وإضافة الشمر واليانسون والسمسم. عودة أخرى إلى النار تتحقق مع عملية قدح السمن، فى نفس طبق التحميص، حتى يبدأ فى إصدار أبخرته. الساخن فى البارد. تقوم إنعام بعمل حفرة صغيرة فى وسط الدقيق الذى يبدأ فى التكيف مع وضعه الجديد. ثم يتم دمجه وتبسيسه حتى يتحول إلى مفروكات دقيقة الحجم.

---

على محور زمنى مواز، تكون الخميرة قد تخمرت فتتم إضافتها إلى المفروكات وتبدأ إنعام فى إنجاز عملية اللت الجيدة مع رشرشة اللبن تدريجياً حتى تتكون كرة لينة تخضع لمنطق الاستدلال فتترك لتتخمر هى الأخرى. بيديها تبدأ إنعام فى تشكيل القُرَص على هيئة دوائر أو مستطيلات ثم ترصها فى الصاجات غير المدهونة بالسمن. صحيح أن الجزء يتعرض أثناء وجوده فى الكل لما يحدث للأخير. إلا أن هذه الأشكال الصغيرة تترك لتتخمر مرة أخرى.

بيب يدخل إلى المطبخ ليقوم بإنزال الفرن المستدير المصنوع من رقائق حرارية لكى يتم وضعه على البوتاجاز المشتعل. يخرج بيب من المطبخ لتفادى إعاقته لحركة إنعام. الفرن على البوتاجاز لمدة ربع ساعة حتى تصل درجة الحرارة إلى أوجها بحيث يتلقى الصاج الحرارة بعد وصولها إلى النقطة الحدية التى تؤدى إلى نضج القُرَص بشكل متوازن. أشكال تميل إلى الاحمرار وتخضع بدورها لقوانين الهضم عندما تلتقى بأسنان إنعام.

«يا سلام عليكى لما تقَرصى يا بت يا إنعام»

وهكذا يمكن أن يجد عبده رفيقاً لشاى الصباح.

* * *

قانون المنفعة قانون معقد قد تظهر فكرته واضحة للعيان عندما يهدى أحد الأطفال أمه فى عيد الأم كتاباً عن طريقة عمل الجاتوه الذى يحبه. والجاتوه فى حد ذاته يمكنه أن يشكل محدداً أساسياً فى بلورة الأنا وعلاقتها بالآخر. وهذه الفكرة الأخيرة تتم عن طريق دخول إنعام بأطباق الجاتوه إلى عبده الذى يقوم بدور العريس. المنطقة الخلفية لإنعام واسعة لدرجة معجزة. الانطباع الأخير يحدث عندما يتم التحرك عرضياً على مستوى أفقى موازٍ للمنطقة مما ينقل شعوراً بالمساحة والامتداد. الموجودات التى تقبع فى الناحية الأخرى من المنطقة الخلفية تم حرمانها من رؤية عبده والعكس صحيح. إلا أن عبده لم يكن يشعر بالحسرة نتيجة لهذا المانع الذى شكل أهم ما فى المكان بالنسبة له. كان من الواضح أن هناك علاقة ارتباطية عكسية بين المنطقة الخلفية وقطعتى الجاتوه الصغيرتين الموجودتين فى طبقى عبده ورتيبة. شعر عبده بالحرج أمام رتيبة وتقمص للحظة دور البورجوازى الصغير. ‹‹يعنى هما لو كانوا حطوا طبق الجاتوه بحاله كنا حنخلصه››. شعور الحرج تلاشى عندما تذكر عبده أن رتيبة هى السبب فى مشروع الزواج من أساسه. ‹‹والله ياست تفيدة عبده إبنى ده هدية وأبوه الله يرحمه كان مربيه على العز وعزة النفس››. العبارات التقليدية تزعج عبده. محاولات الكسر تتولد فى ذهنه. تذكر طبق البسبوسة الذى أحضره معه. الشريط المفضض الذى تم ربط الطبق به يمكن استخدامه

فى إصلاح الشباشب. بمعنى أنه عندما ينفصل غطاء الشبشب عن نعله يمكن لضم الشريط المفضض فى إبرة سميكة ويتم غرزها، عبر الغطاء، فى نعل الشبشب عدة مرات لكى يتم تثبيت الغطاء. (حتى لا يطلق القارىء العنان لخياله محاولاً الربط بين عملية إصلاح الشبشب وتوقيت الإصلاح الزراعى، يمكننا التأكيد على أن العائلات الريفية مهما بلغ غناها فإنها توجه اهتمامها الأساسى للجهاز الهضمى وامتداداته) . وبذلك لا يمكن أن تخرج القدم من محيط النعل. يستعد عبده للانصراف.

‹‹والنبى يا ست رتيبة إبقوا كرروها تانى››

‹‹طبعاً يا حبيبتى ما حنا بقينا أهل خلاص››

* * *

# رجـــوع

**سِلفة**

رتيبة حزينة.

«تعالى دَككِى معايا يا زينب وبَطَلِى عياط»

البنطلونات الكستور هى أفضل شئ يمكن ارتدائه فى الشتاء. سنوية أبو العينين وعبده عمره سنة وثلاث أشهر. ولأن الحركة فى هذا السن تكون حركة عنيفة - سواء فى الصحيان بسبب اللعب أو فى النوم بسبب الناموس ذى الحجم الميتافيزيقى - فإن أستك البنطلون عادة ما ينقطع. عندئذ يسقط الكَمَر فى الأرض ويجتاح البرد العورات الإنسانية. ولتفادى هذا الموقف المخجل، تعتنى رتيبة بتدكيك أساتك البنطلونات أول بأول. ينغرز الدبوس المشبك فى طرف الأستك الأبيض. وقد بدأت فى الظهور الخراطيم السوداء صاحبة الفضل فى إعطاء الصفة المطاطية للخيوط البيضاء التى تحيط بها. الدبوس المشبك ضرورى لعملية التدكيك لأنه بدونه لا يمكن شد الأستك

حتى يصل إلى مكان الزرار الذى يربط بين شقى البنطلون. الدبوس غير مرئى بداخل مجرى التدكيك إلا أنه عند وضع الإبهام والسبابة فترة طويلة لتحسس مكانه ينطبع على اللون الأحمر للحم خطان متوازيان. يصل الأستك إلى النقطة المرادة ويتم ربطه.

يوم السنوية يوم طويل يأخذ حقه من الزمن الكونى لكن ها هى الشمس قد أصبحت تحت مستوى البلغ. إذن بدأت لمبات الجاز فى العمل. اللمبة التى تحتل مركز الصالة بدأت تزيد من كثافة طبقة الهباب الموازية لها فى السقف. فى تزامن واضح مع الحقيقة السابقة، زاد عدد المعزين عندما ظهرت الظلال خلف الأجساد. اقتربت الرؤوس من بعضها البعض ومن السقف. إحدى الرؤوس تهتز.

‹‹ماتستهدى بالله يا حاج محمد››

‹‹مش قادر يا خويا ده أنا اللى مربيه››

‹‹يعنى هو احنا لينا فى نفسنا حاجة››

‹‹ ده قاللى راجع عالمغربية وماخلفش كلمته... بس رجعلى ميت... رجعلى ميت››

هباب الجاز أظهر الشرايين الحمراء فى عيون عبده.

# مع اختلاف الزوايا

**أمـــام**

بيب وأبو اليسر، بدأ هذا المشـهـد. الرجل تحت يافطة الحانوتى بدأ يحرك يده. هذا الادعاء البسيط جعله يضع يده فى شرج هيكل اللحم. القطن فى يده. يدفع بقوة. يهتز جسد عبده. وتبدأ خيوط الدمع فى تكوين العرق على جلده. المرة الأولى، لم يُخْرِج شيئاً. الثانية كان الرزق فيها أكثر. الثالثة كانت تعد بأن ما وراء أعظم. مع الخبرة والتعود على أماكن الأشياء فى الجسم، بدأت سرعة الدخول والخروج فى التزايد. لم يكن عبده كبير الحجم ولكنه مع دوام الحركة بدأ ينكمش. والجسم عندما ينكمش تضيق المسافات بين جزيئاته. ولذلك بدأت منابت الشعر تتوحد. الشعرة التى تنبت على سبيل المثال على يمين عضوه هى نفسها جزء من شعرة ذراعه، من رمش عينه ومن شعر رأسه. وبدأ كل شئ يتضاءل إلا هذه الأجسام السوداء التى تطل خارج الجسم.

---

الجزء الثانى من المشهد كان أكثر إيجابية من طرف أبنائه. الحياة تسير من الداخل إلى الخارج. احتضنه بيب بقوة. مرر ذراعه الأيمن من تحته وقابل به ذراعه الأيسر المتحرك من أعلى إلى أسفل. مرر الرجل يده بنعومة الليفة والصابون الذى يزحلقها على ظهره. تسابقت الفقاعات لتملأ الفتحات المتاحة. تهتم هذه المرحلة أكثر بما هو على السطح بعد الانتهاء من نزع الفضلات. تتشابك الفقاعات على السطح. يفوز البعض بالالتصاق والأخريات ترضى بجوار السعيد. كل شئ الآن حتى الأجسام السوداء يغطيه الصابون. يصبح الجسم مغلقاً أمام الدخول والخروج. كل شىء كان يدل على أن الحياة قد خرجت من عبده.

بدأ الماء يغسله ويدفع بالفقاعات إلى الفتحات الموجودة فى الخشبة ومنها لترتطم بالأطباق الموضوعة على الأرض خوفاً من الجيران لأن أسقف هذه البيوت القديمة تؤثر فيها المياه بسرعة. قطعة صغيرة من الصابون تعلقت بالجفن. العين صافية بشكل يؤكد فعالية الصابون المستخدم. على عكس الاحمرار الشائع فى مثل هذه الحالات، كان البياض والسواد واضحين. وتلاقت عينا بيب وعبده.

* * *

رغم ضراوة الحروب الأهلية وسنوات النار الطوال فى لبنان فقد استطاع هذا البلد الجميل أن يحافظ على منتجاته ومنها الكولونيا. مكان الصنع موجود فى ركن صغير من الزجاجة. «مون سان ميشيل»

كولونيا صفراء اللون، ذكية الرائحة. الزجاجة طويلة مستديرة عليها رسوم لجبال الأرز.

يغمس بيب القطن الأبيض فى فتحة الزجاجة لكى يتشرب بالكولونيا. حان وقت النظافة بالنسبة لعبده. يتم الاهتمام فى الأساس بمناطق لقاء الجلد بالآخرين والذين يكونون فى وضعنا هذا الشعر. يقوم بيب بتمرير القطن على الخدين، حول الفم وتحت العينين. الشعر الملبد بالعرق فى الإبطين يستلزم انغماس قطن جديد فى الكولونيا. القطن بعد أن يقوم بجمع الشعر فى ضفيرة واحدة يظهر لبيب فيراه أصفر اللون إثر ذوبان العرق. فى محاولة لتمرير قطعة جديدة من القطن على شعر رأس عبده، تظهر لبيب حاجة عبده الملحة للمشط. بعد محاولة أو محاولتين، يظهر واضحاً الخطر الذى قد يجعل فروة الرأس مواجهة للخلاء إذا استمرت عملية التمشيط . يتم نزع الشعر من المشط وإلقاؤه فى الطفاية المجاورة. تأتى منطقة الشعر التالية فى الأهمية للمنطقة الرأسية. يمرر بيب قطنة كبيرة هذه المرة حول العضو وعلى الفخذين. جلد هذه المناطق فى حالة لا يحسد عليها. الموقف مكشوف. فقد الجلد مناطقه اللحمية السفلية فاضطر لفقد نضارته واقترب من بعضه البعض فى محاولة لشد الأزر. إلا أن القطن مع كل مسحة جديدة كان يؤدى إلى ظهور بوادر الانشقاق بين الثنايا المختلفة. وقد يصبح من الحظ السئ لإحدى الثنايا أن تعلق بها خيوط قطنية رفيعة تعوق عملية الالتحام الجلدى.

---

كل عبده يخضع للنظافة فى هذه اللحظات. مَبْوَلَة جميلة لبنية اللون، بلاستيكية مرقمة سنتيمترياً لكى يتم حساب كميات البول التى يتم إنتاجها من جسد عبده يومياً. وجود البول لفترة ولو قصيرة فى البلاستيك الأزرق يجعل الرائحة لا تطاق. بيب يضع الديتول. عبده يكره الشعور بالمرض ويطلب رمى الديتول. يمر بيب ووجهه مبتسم ناحية عبده. خيط رفيع من الدخان فى ظهر بيب حيث توجد يده اليمنى. بيب طويل القامة. رائحة الجو تعطرت وعبده لا يدرك لذلك سبباً. عمود البخور فى آخره نقطة حمراء ملتهبة.

* * *

من موقعه على سجادة الصالون الشنواه، يصدر عبده الآهات. للمحافظة على السجادة النفيسة، توجد مرتبة رقيقة تحت عبده. عبده ينام على سجادة الصالون كعملية رد اعتبار. بسبب الكوابيس كانت إنعام تمنعه من النوم على سريرها المشترك. والآن إشفاقاً عليه من المرض سمحت له إلا أن عزة نفسه تمنعه. السرطان امتلك الرئة اليمنى ثم تطرق على استحياء لليسرى. رغم المرض والعجز اللذين يستأثر منهما عبده بنصيب كبير إلا أن مراكز الأعصاب ما زالت تعمل بكفاءة. بكل عدالة بيولوجية، الألم ينبعث من الصدر إلى المخ الذى يقوم بتوزيعه. برودة الجو فى نوفمبر أدت إلى وجود آلام موازية فى منطقة المثانة نتيجة لاحتباس البول. المَبْوَلة البلاستيكية موجودة لكن عضو عبده لا يستطيع أن يمتد بداخلها

ويصب. بل يظل واقفاً على حافتها متهيباً، منكمشاً وخاضعاً لضغوط المثانة الموجعة. الحل الوحيد: الذهاب إلى الحمام حيث مصب البول يبدو بعيداً عن منطقة العضو فيتشجع ويبدأ فى تخفيف الضغوط. قد يتصور البعض أن علاقات المعمار بالأثاث لن تلعب دوراً فى المشكلة التى يعانيها عبده. إلا أن نظرة فاحصة للحقائق يمكنها أن توضحَ خطأ هذه الفكرة. المهم بالنسبة للغرفة هو الداخل إليها ولذلك يوجد مفتاح النور على يمين باب الغرفة المغلق. وعبده يوجد حيث توجد السجادة فى منتصف الغرفة. وبين عبده ومفتاح النور، ترابيزة السفرة بكراسيها. فعندما يحاول عبده النهوض للخروج والذهاب إلى الحمام بدون معاونة يضطر إلى تفادى منطقة.الترابيزة مع الاتكاء عليها فى نفس الوقت للوصول إلى الباب فى الظلام. وجد عبده نفسه ملتصقاً بالأرض خلف الباب. التأثير الصوتى لهذه السقطة يساوى خبطة مكتومة، بالنسبة للخارج، لأن الباب مازال مغلقاً . بيب النائم الأقرب لباب غرفة النوم المجاور لباب غرفة الصالون يشعر بانقطاع حلمه فجأة. يخرج من تحت البطانية ومن باب غرفة النوم. يحاول فتح باب الصالون إلا أن شيئاً ما يعوقه. «أى.. طب استنى يا اللى بتفتح». مرة أخرى أهمية الداخل إليها تجعل تصميم المفصلات يؤدى إلى أن يدخل بيب الغرفة بالباب. أصابع عبده محشورة تحت الباب الذى يحاول بيب فتحه والبيجاما تكرمشت مما سيؤدى إلى كيها لأنه يقابل بها الزائرين. ينحى عبده أصابعه والبيجاما بالزحف على الأرض.

«إيه مالك يا بابا فيه إيه؟»

«عايز أروح الحمام»

«طيب تعالى»

من تحت الإبطين، يحمله إلى الحمام. مرة أخرى، خلف دخان البول، يظهر الأخير مختلطاً بالدم.

* * *

ما زالت فقاقيع الهواء المكونة للرغوة تحتفظ ببعض وجودها الطافى على سطح عصير القصب. والاثنان باقيان فى منطقة التجاعيد فى الزجاجة البلاستيك، محتاجان إلى كمية جديدة لتخطى التجاعيد إلى المنطقة الرائقة من البلاستيك والتى تقترب من الفوهة. من البديهى أن الكمية الجديدة هى التى سوف تتخطى التجاعيد فى حين يبقى القديم بأسفل. وعندما يختلطان يفقد القديم تماسك وحداته. القصب يعطى طاقة فورية. «حاول تشرب سوايل كتير يا عبده وتجيلى بعد أسبوع أشوفك تانى». بدأ الدم ينحسر ولا يصل إلى الأطراف. أعطت هذه الحقيقة للجلد لوناً فاتحاً يقترب من الكريمة. وفوقها توجد بقع النمش الكثيرة ذات الألوان المتدرجة من البيج إلى الأحمر مما أعطى تبايناً طبيعياً لظهر اليد. بالأمس كانت القراميط تعوم فى الصلصة التى تملأ الصينية. رؤوس ساكنة فقدت أهم ما فيها:

النخاشيش والتى كان يمكنها عن طريقها أن تشم رائحة الكرفس الجميل الذى يتغير لونه من الأخضر المزدهر إلى الزيتونى نتيجة لحرارة الفرن ذى الرقائق الحرارية. والكرفس قد يوجد على قرنية العيون ويترك نفسه ليلتصق بها. وتنتقل الرؤوس إلى طبق عبده لتطير من يده إلى بيجامة بيب لأن الرغبة فى الأكل يأتى موعدها بعد ذلك بربع ساعة ولأن عبده هو صاحب القرار فى منزله، والمسافة التى قطعتها الرؤوس من يد عبده إلى بيجامة بيب عبر الترابيزة هى نفس المسافة التى يعجز عبده عن قطعها بمفرده. «ما تمشيش بالكرة.. خلى الكرة هى اللى تجرى».

اليوم، بيب أمام بياض يد عبده يحبس دموعه.

«أنا خلاص ما بقيتش قادرة يا بيب».

«معهلش يا ماما لازم نستحمل وبابا مافضلوش كتير إنتى ما شفتيش إيديه عامله إزاى».

بعد ساعة فى الجامعة كل الوجوه مألوفة. ابن الجيران يظهر. فرحة اللقاء مع اختلاف المكان تلمع فى عيون بيب.

«ياما قلتلك تيجى تقعد معايا شوية فى الجامعة»

الحقيقة العارية.

«إيه فيه حاجة حصلت؟.. إيه اللى جابك؟»

«أبوك تعب شوية... وأنا جاى آخدك»

التاكسى كان سريعاً.

«هى الخارجة حتطلع إمتى؟»

سؤال سعيد ابن البواب الأبله.

* * *

ناشيونال وباناسونيك اتحدا ليكونا كياناً عملاقاً فى عالم الصناعة. ومن محاسن هذا الاتحاد تصنيع المراوح التى يمكنها أن تقف مع الإنسان الوحيد فى مواجهة الشمس. وبالفعل لم يكن هناك شئ فى غرفة النوم مع عبده سوى هذه المروحة. المروحة تعمل على الدرجة الثالثة لتهيئة مناخ ألطف. لم يتم ضبط التايمر لعدم الحاجة للتحكم فى الزمن. كان عبده بطبيعة الحال هادئاً كأى شخص ميت. بسبب النوم على الظهر، كان الهواء يدخل الجسم عن طريق الفم المفتوح على آخره بحيث لا يضايقه وجود المخدة التى قد تضيق حجم الفتحة إذا نام على أحد جانبيه. وبذلك يؤخر الهواء النظيف حدوث عملية التعفن. صحيح أن الوفاة لم يمض عليها سوى بضعة ساعات إلا أن هناك بعض الأجزاء قد ماتت بالفعل فى الجسم نتيجة لعمل السرطان مما قد يسهل عملية التعفن إذا لم يتم الاستعانة بالمروحة. اليوم ٣ ديسمبر. الجو بارد فى الخارج وقد يساعد الهواء الخارجى فى تكثيف أثر المروحة. الإفريز الذى يربط بين البلكونات قد يسمح بمرور الفئران إلى جثمان عبده

والعبث به مما قد يؤذى المشاعر النبيلة لأهل الدار. كما أن الفئران بتدخلها فى هذا الوقت سوف تؤثر على الانسياب الزمنى لعملية الدفن. فالمعروف أن الفئران يأتى دورها بعد دخول الجثث فى المدافن وانصراف الأحياء. وبانسداد مدخل البلكونة لا يصبح أمام الهواء إلا الباب كوسيلة لمغادرة الغرفة. غرفة النوم تقع على نفس الخط مع غرفة الصالون ويفصل بينهما حائط يوجد على امتداده ستارة خفيفة. لا يستطيع الهواء تفادى الستارة ويقوم بتحريكها. نتيجة للخوف من الأموات، بيب ينام على الأرض فى الصالون. ونتيجة للرعب، تصور بيب أن والده هو الذى يحرك الستارة. أفلام توم وجيرى: جيرى يقوم بتشغيل المكنسة لتطرد الهواء الذى يحرك ملاية بيضاء يتخيلها توم شبحاً يطارده. التليفزيون يعرض هذا الفيلم فى الوقت الذى يكون فيه بيب فى البيت. لحظات الرعب يمكنها أن تزيد عدد الوفيات فى البيت. مع كل دَفعة جديدة من الهواء، كان بيب يتناسى حادث الموت القريب ويتوقع ظهور خيال عبده من زجاج باب غرفة الصالون إلا أن الهواء كان يحرك الستارة ولا يُظهر خياله على الزجاج. ظل بيب يعانى حتى الفجر فى الصالون فى الوقت الذى كان فيه عبده مسجى هادئاً فى غرفة النوم. فى الفجر أيضاً، أبو اليسر كان راضياً لأن فكرته الخاصة بالمروحة أدت إلى تقليل الناتج من عملية التعفن.

* * *

الجدار يمكنه أن يؤدى أدواراً كثيرة فى حياة الإنسان. يكون محدداً أساسياً لأماكن الفراغ أو يكون حاجزاً بين شخصين يرغبان فى تخطيه أو لا يرغبان. لكنه فى هذه الحالة يكون موصلاً جيداً للصوت.

دخل عبده إلى المدفن. من الباب، يجد فى وجهه مدفن محمد يوسف. الجدار يبدو قوياً اللهم إلا المنطقة التى يتم تكسيرها فى كل مرة يدخلون فيها أحد الأموات. المنطقة كانت فى أسفل تحت الآيات القرآنية وكانت تبدو أكثر رطوبة من غيرها. «شوية أسمنت من اللى مغطينها كانوا وقعوا فجبنا الراجل لَيَّط الحتة كلها من أول وجديد».
هذا التربى اللزج لم يذكر شيئاً عن مدفن رتيبة. كان إلى اليسار ولوحة الاسم فى مواجهة الحائط بمعنى أن على الداخل الدوران حول المدفن ليصبح ظهره على حائط محمد يوسف فيرى الاسم الأنثوى ويوم الوفاة.

وضع عبده، الجالس على الأرض، ظهره على حائط محمد يوسف. لم يكن يتوقع صدور أية أصوات من خلفه بطبيعة الحال. النبضة التى يشعر بها الإنسان فجأة فى أذنه أو فى قدمه ثم يعتاد عليها فينساها. شئ مشابه فى إيقاعه الصوتى لكنه ليس هو. صوت احتكاك ضعيف لكنه موجود. يأتى من المنطقة التى تغطيها طبقة الأسمنت الرقيقة المليئة بالهواء. الدفن لم يكن حديثاً حتى يمكن الشك فى حكم الطب. فيما عدا ذلك، الهدوء كان مستتباً.

---

«يا واد يا فوال تعالى قوام»

عبده يقف عند باب المدفن.

محمد يوسف كان طويلاً . وقد تم دفنه فى وضع أفقى ودخلت رأسه أولاً مما جعل قدميه ملاصقتين للطبقة الأسمنتية. بعد أن قام الدود بالانتهاء من اللحم والعينين، التفت إلى المناطق العظمية. نتيجة للوضع الأفقى، تصبح القدمان المنتصبتان أعلى هذه المناطق مما يستفز الدود الذى يحتشد ويتوجه للعمل النشيط فى هذه المنطقة. وتبدأ عمليات التسليم والتسلم. عبده الذى يضع ظهره يسمع حركة العظام وهى تحتك بالطبقة الأسمنتية أثناء عملية نقلها. الصوت يظل مستمراً حتى يقول جملته السابقة بدون أن يفهم سبب الصوت.

«تعالى يا واد بسرعة... إيه الصوت اللى جوه التربة ده ؟»

«صوت إيه يا بيه ؟... ما احنا لسه فاتحينها من كام شهر لما الواد جاه ليّطْها وما كانش فيها غير لا مؤاخذة شوية عضم ودود»

يقترب التربى. يلتصق بالأسمنت. لم يسمع شيئاً.

«تعالى يا سى عبده... ده باين عليك تعبان شوية من السفر».

* * *

الحمام والطرقة يجمع بينهما حائط واحد. والحوض داخل الحمام يوجد على الوجه الداخلى للحائط الذى يشكل وجهه الخارجى أحد محدديّ الطرقة بالاشتراك مع الحائط الآخر الذى يضم باب الشقة. مواسير الصرف الخاصة بالحوض توجد فى داخل الحائط الجوكر. مع تباين درجات حرارة المياه عند استخدام السخان، تتخلل الرطوبة فى الحائط. مع إضافة تأثير حركة الكرة الأرضية بالنسبة لمحور التعامد مع الشمس، يمكن تصور الظروف التى أدت إلى مطالبة إنعام بتغطية هذا الوجه من الحائط عن طريق استخدام بطانة من الأبلاكاش، وقد ساعدت عدم شفافية الحائط على تغاضى إنعام عن العناية بالوجه الداخلى الذى لا يراه الداخل من باب الشقة. أمام الأبلاكاش، يوجد كرسيان: الأول من ناحية باب الشقة خال والثانى عليه عبده. الكرسى من القطيفة التى يبهت لونها بشدة. بين مقعدة عبده والقطيفة يوجد مفرش كروشيه بنفس لون القطيفة البنى. المفرش حل البهتان. قد تترك دوائر الخيط الكروشيه آثاراً على البيجاما عندما يعطى عبده ظهره للآخرين. على ضوء السلم الواصل من شراعة الباب، يظهر عمود الدخان. يكمل الضوء طريقه إلى الأبلاكاش فيظهر ظل الدخان. العمود يمضى بدون رعشة مما يدل على استغراق عبده فى التفكير فى حل مشكلته. هذه هى السيجارة الأخيرة الموجودة اليوم. على الدولاب الرفيع الملاصق لعبده، توجد علبة السجائر الأولى خاوية. إلى الخلف،

عند تلاصق الدولاب بالحائط، توجد علبة أخرى، لا تصل إليها يد إنعام القصيرة نسبياً، يتم تحويل احتياطى السجائر إليها. المسموح به ٥ سجائر يومياً. اليوم كان يوماً عصيباً. تسلية عبده الوحيدة فى المعاش هى شراء لوازم البيت. فى خلال الأيام الثلاثة الأخيرة، كان سعر الكوسة الرفيعة ٣٥ قرشاً للكيلو ولكن نظراً للحظ الذكر الذى يتميز به عبده، ارتفع فى يوم الشراء إلى ٤٥ قرشاً مما أثر على القوة الشرائية. كان من المفترض أن هذا السعر هو الذى سوف يعلنه عبده لإنعام على أن يستفيد من الفرق فى تكوين احتياطى ٣ سجائر لتدخينها، فى أوقات نوم إنعام، بعد ترحيلها إلى العلبة الخلفية.

«إيه يا عم عويس اللى غلّى الكوسة كده؟»

«معرفش يا دكتور. هما تجار الجملة بيغلوا واحنا برضك لازم نكسب لنا قرشين»

«يعنى ماتبقاش بـ ٤٠؟»

«لا والله ما انت زبون وعارف»

«طيب ادينى ٢ كيلو»

لا يمكن تقليل الكمية تحت أى ظرف لأنها توازى المقدار المحدد من اللحمة المعصجة التى أعدتها إنعام لصينية الكوسة. العلبة الخلفية يمكنها أن تنتظر.

(كثرة التدخين تزيد من احتمالات الإصابة بسرطان الرئة)

* * *

جلس عبده على السلم الرخامى يستريح. كان فى انتظار عصير القصب الذى يأتى به أبو اليسر من الرصيف الآخر. السلم عبارة عن زوايا قائمة على بعضها البعض. تتناقل الزوايا الحركة. وضع عبده مؤخرته على واحدة نائمة وظهره على أخرى قائمة. القصب تأخر. السبب ليس بطء أبو اليسر المعروف عنه. إنما لابد من تخصيص فترة زمنية لعصر كمية جديدة والتصفية ووضع الثلج. محاولة عبده الحالمة والبعيدة عن إرادته، لخلق واقع آخر من الزوايا عن طريق علاقة الفخذ بالساق، ليست مضمونة. برودة الرخام أدت إلى تعميق الإحساس بالواقع الأصلى. عبده يحس بالإرهاق والمرض الذى يتحرك فى جسمه. المريض يمرض ثم يتم اكتشاف مرضه. باقى نصف ساعة على ميعاد الدكتور. يمكن اختصار الطريق من خلال المرور بالشارع الضيق المظلم الذى يصل عمارة السلم بشارع شريف حيث تقع العيادة. استند عبده إلى ذراع بيب ثم إلى كتفه. وضع رأسه على كتف بيب. بلوفر بيب صوف تويد إنجليزى شغلته إنعام ويبعث على الدفء. يبدو أن عبده نام للحظة ثم استيقظ.

أشعة إكس تكشف كل شئ. كان عبده فى حاجة إلى أشعة إكس. كل شئ يتحول إلى عظام. كيس من العظام يظهر فيما يوازى القفص

الصدرى عندما يكون عبده خارج جهاز أشعة إكس. شئ يتحرك وسط العظام .هو القلب. الأشعة تلتقى مع نظرات الطبيب الذى يشرب اللبن فى كل صباح لكى يتفادى الآثار الضارة لأشعة إكس. يتقيأ عبده بدون أن يشعر فتتساقط بقايا الطعام أمام شاشة الأشعة فتعيق الرؤية أمام الطبيب. على الممرض أن يقوم بتنظيف البقايا من على السجادة فى طبق صغير من الصاج. يمهل ولا يهمل. صداقة عبده القديمة للدكتور لم تشفع له عند التمرجى الذى حصل على جنيهين فى سبيل تحقيق عملية الإدخال السريع. ها هو يؤدى خدمة أخرى بدون مقابل. طبعاً كل هذه الأفكار لم تأخذ مساحتها فى وعى بيب إلا عندما سألته إنعام بعد عودتهم إن كانوا قد دفعوا شيئاً للتمرجى.

«لأ ما تقلقشى يا عبده دى حاجة بسيطة... شوية برد فى الرئتين بس حا يروحوا بالكام دوا اللى حاكتبهملك دول. بس برضه» الكلام موجه لأبو اليسر «عاوزين نعمل أشعة على الرئة عشان نطمن خالص».

كان ميعاد الأشعة فى اليوم التالى.

(نعم يمكنك أيها المريض أن تتخلص من آلام البرد عن طريق التعرض لأشعة الشمس).

* * *

فى الصباح يدخل الضوء من النافذة وتتخلل الشمس المكان. وضعت الناموسة أرجلها الأربع على الحائط وتركت الرادار الخلفى، المكون من

قدمين أخريتين، مرفوعاً في الهواء. «المجارى ضارية من أول إمبارح الصبح». كان نصفها الأسفل ممتلئاً بدماء النائمين. اتجه بيب إلى المطبخ حيث دولاب البرطمانات والعلب الفارغة. رفع بيب غطاء العلبة الطويلة. وضع دبوس الإبرة في نار البوتاجاز الذى أشعله منذ قليل. انتظر حتى احمر الدبوس تماماً. غرزه في الغطاء. دخان البلاستيك المحترق يصل إلى أنفه. يكرر بيب هذه العملية أربع مرات حتى يتكون شكل خماسى من الفتحات على الغطاء. ترك بيب المطبخ. وضع دائرة فتحة العلبة حول الناموسة التى ارتبكت وتحسست الفتحة من الداخل. لا فائدة. انطلقت إلى عمق الزجاجة. كل ما مضى لا يعنى بيب في شئ إلا اللحظة التى تقف فيها الناموسة في قاع العلبة من ناحية أنفه. يقترب بحرص من الفتحة والغطاء في يده. يغلق العلبة بسرعة. على المكتب توجد أباجورة صغيرة. يضع يده على المفتاح. اللمبة كانت شفافة. وضع العلبة أمامها وبدأ يراقب حركة الناموسة. كانت تصعد وتهبط بدون توقف. تقترب من الفتحات، تحاول تمرير أرجلها. كل المحاولات فاشلة. عندما تتأكد الناموسة من إغلاق العلبة، تترك الرادار ليسقط ويلتصق بجدران العلبة. الهاموش الصغير يصطدم باللمبة الساخنة فيسقط محترقاً. يغرز بيب الدبوس في جناحى الهاموش ويقترب من الغطاء. يفتح ويغلق بسرعة. تبتعد الناموسة في أول الأمر عن الجسم الساقط عليها من أعلى ثم تحاول الصعود إلى الفتحة التى مازالت مغلقة. تقترب بحذر من الهاموش، تمد إبرتها وتقلب بها جسم

الهاموش، تتعرف عليه. تبتعد الآن. «بقى كده بتتبطرى عالنعمة... طيب إستنى عليا». يمسك بيب العلبة بقوة ويبدأ فى هزها. (بيروسول: الرجاء رج الزجاجة جيداً قبل الرش). يقترب بأذنه من العلبة. يسمع أصوات الارتطام المتلاحقة التى تحدث. يتوقف وينظر إلى الناموسة. لا تكاد تستطيع أن تقف. الآن لا خوف من فتح العلبة. يلقى بالناموسة خارج العلبة. تحرك قدميها بصعوبة. يضع الدبوس فى رأسها الذى يشبه الفروة الخفيفة. يقترب برأسها من اللمبة الـ ٦٠ فولت. تنتصب أقدامها الستة ثم ترتخى. بدأ ينزع الأجنحة والأرجل وإبرة الرأس. كل شئ سليم لكنه منفصل. الوجه المبتسم ينتبه. صوت أوتوبيس المدرسة.

* * *

وضع عبده قدمه اليمنى تحت الرصيف. الإشارة البعيدة الموجودة فى بداية الشارع من ناحية اليسار كانت خضراء مما أدى إلى عدم وصول أى سيارة من اتجاه اليسار لليمين. الإشارة التى كانت تسمح بمرور السيارات من اليمين إلى اليسار كانت مفتوحة. الشارع اتجاهان بدون رصيف فى المنتصف. السيارات تملأ الشارع من اليمين فى حين أن اليسار ظل خالياً. عبده لم يكن معتاداً على الظهور فى هذا الشارع بمفرده. الرغبة فى الوصول إلى شئ ما التى تتملك السائقين دفعت ببعض السيارات لتحتل الاتجاه المخصص للسيارات القادمة من اليسار إلى اليمين. لم تحتل معلومة الاتجاهين مكاناً بارزاً فى انتباه

عبده. المخبز الإفرنجي خلفه وهو مصدر الخبز الذى يحمله. المخبز البلدى أمامه من الناحية الأخرى وعليه أن يعبر لإرضاء كافة الرغبات. توجد بركة الماء صغيرة على بعد عدة أمتار من قدمه اليسرى الموجودة فوق الرصيف. ينعكس فيها جزء من عمود المحطة الذى يحمل أرقام الأوتوبيسات التى تمر من هذا الشارع. المسافات بين السيارات واسعة نتيجة لاتساع الشارع وقلة عدد السيارات النسبى. وضع عبده قدمه اليسرى على رفرف الأوتوبيس الواصل فى هدوء من شارع جانبى نتيجة لاخضرار إشارة الشارع المزدوج. المحطة كانت خالية فى هذا الوقت من الليل والحركة لم تكن متوقعة. القدمان أصبحا الآن فى الهواء. استقرا فى اللحظة التالية على الأرض. الاستقرار جاء فى أوضاع مختلفة مما أدى إلى حدوث كدمات. الخبز تناثر على الأرض ووصل إلى بركة الماء الجميلة فأفسد المنظر الصافى لتناسق الألوان البيضاء والحمراء لعمود المحطة. عبده لم يكن طويلاً فهو يبلغ الخامسة عشرة فقط. ولهذا لم تحدث انعكاسات خطيرة فى زوايا أعضاء الجسم.

«حصل لك حاجة يا بنى .. فيه حاجة اتكسرت فيك؟... قوم كده امشى»

«جت سليمة يا حاج»

«طيب انت رايح بعيد نوصلك؟»

«لا متشكر كلها خطوتين»

«طيب خد يا بنى العيش اللى وقع منك».

كانت هناك بعض الآلام فى الحوض والفخذ فقط. كان سائق الأوتوبيس متعجلاً للانطلاق قبل تحول إشارة نهاية الشارع من اليمين إلى اللون الأخضر.

* * *

حدوتة الليلة جميلة وليلة عبده بيضاء.

«ونرجع مرجوعنا تانى يا عيال لحكاية إيه؟ حكاية الغول أبو سنان طوال اللى كان مالى العزبة صويت وعياط إكمنه كان بيخطف العيال الصغيرين وياخدهم بعيد عن أهاليهم. وياريته كان بيعمل كده وبس، ده كان كمان الله ما يكسبه ما بيديهومش يشربوا اللبن الصبح وعشان كده العيال كانت سنانهم بتقع فيروح الغول واخدها ومطول بيها سنانه وكمان تلاقى رجليهم معوجة زى جذع الشجرة الميتة اللى قدام الدوار». عبده يتقمص دور العبيط. «ياما هو اللى ما يشربش اللبن يحصله كل ده؟». «أمال يا عبده وغير ده كتير لكن ربكم يا عيال ما يرضاش بالظلم ده ولا يرضى بذل البنى آدم خليفته فى الأرض فراح باعت فى العزبة فتى ولا كل الفتيان، طويل عريض همام إسمه الشاطر حسن. أول ما شافه الغول هاج وماج وكان هاين عليه يمسك

العزبة ويرميها عليه، أصله مفروس منه إكمنه مابيهنهوش على أى مصيبة يعملها. وبعدين ياولاد راح جاى الشاطر حسن الله يعمر بيته ويخليه وراح ماسك الغول من ودانه ولواها لحد ماطلعت فى إيديه. بقى الغول لايص محتاس مش عارف يعمل إيه. وقبل مايتلايم على نفسه راح الشاطر حسن مكَسَّر له سنانه الطوال وطلّق العيال ورجعلهم سنانهم وراح ماسك الغول زى فردة الشراب المقلوبة، قامت السبوعة والنمورة والعصافير نازلة من بقه على الأرض. أتاريه المخفى كان بالع حاجات ياما من قبل كده. وتوتة توتة خلصت الحدوتة ودلوقتى بقى ياعيال تروحوا على سراريكم عشان تصحوا الصبح بدرى وبكره زى الليلة حاحكيلكم الشاطر حسن عمل إيه مع النمورة والسبوعة اللى نزلت من بق الغول».

كانت حواديت المساء عادة ما تكون فى غرفة عبده وجلال. على سرير عبده، تجلس رتيبة بين أولادها وأولاد سلفتها لتحكى حواديت الشاطر حسن وبدر البدور والغول وزوجته أمنا الغولة. لحظات بعد نهاية الحدوتة، ينصرف الجميع ويدخل جلال فى طبقة النوم السابعة ويعلو شخيره.

لمبة الجاز الصغيرة تدخل تحت الناموسية البيضاء. بعد أن كانت الغرفة سوداء وكانت الناموسية تحتفظ لنفسها باللون الأبيض، ها هى قد بدأت تكون طيفاً واسعاً حولها من البياض. الناموسية تتخلى عن دورها

التقليدى المتعلق بالحشرات وتبدأ فى المشاركة فى البحث عن النمور والسباع التى سقطت من فم الغول. الجدران تنتقم للون الأسود وتحتفظ لنفسها بظلال مشهد البحث. كان جسد النمر ممتداً على طول ثلاثة جدران رغم أنه ما يزال يعبر ملاية السرير. لم تكن ألوان الخطوط البنية والسوداء واضحة. ربما لم يكن نمراً، ربما كان حماراً وحشياً. اقترب الحيوان من وجه عبده. النمر أكل الحمار الوحشي وخربش وجه عبده الذى أحس بلسعة الدم على أنفه. الخوف ازداد والمقاومة ضعفت لأن النمر للأسف كان قد افترش جدران الغرفة كلها. دخلت رأس عبده فى رأس النمر. السن بالسن. ثم البطن حتى السرة. كان عبده قد بدأ يعتاد على الظلام داخل النمر وبدأ الأخير يأخذ جسمه شكل جسم عبده. الجو الطقسى لآكلى لحوم البشر بدأ يكتمل عندما تمت ملاحظة عمود الدخان المتصاعد من فتحة لمبة الجاز. ‹‹إتمسى بقى يا عبده وانفخ اللمبة ونام››. اختفى الضوء المنبعث من تحت عتبة الباب والذى سبب الجملة الأخيرة.

* * *

فُلة قطة طيبة صعدت إلى السماء.

منطقة الموت منطقة مغلقة الإحكام بالنسبة للأطفال. لا يعرفون عنها شيئاً. لا يدع لهم الوالدان فرصة الاقتراب منها. بطبيعة الحال وفقاً للترتيب الكرونولوجى فهم يكونون أقرب للحظة النقيض: الولادة.

كل هذا يعنى فجوة معرفية بخصوص الموت.

السؤال الذى يطرح نفسَه محاولاً الوصول إلى إجابة: وماذا عن الأطفال الذين تموت أمهاتهم أثناء الولادة؟

لا إجابة.

‹‹أمال فلة راحت فين ياماً؟››

‹‹طلعت السما يا عبده››

‹‹ياعنى مش حتيجى تانى؟››

‹‹لا يا حبيبى دلوقت تيجى... انت شايف السما بعيدة قد إيه، فمسافة السكة››

‹‹وهى طلعت السما تعمل إيه ياماً؟››

‹‹طلعت تزور أمها يا حبيبى››

‹‹وهى أمها بتعمل إيه فى السما؟››

‹‹أمها قاعدة هناك ما هى أصلها بنت عز زى حالاتنا››

‹‹يعنى كل قرايبنا اللى مش معانا قاعدين فى السما؟››

‹‹أمال يا حبيبى››

‹‹وهو فوق مش برد عليهم. والدنيا لما بتشتى ما بيتبلوش››

‹‹لا يا حبيبى ما هم أصلهم قاعدين فوق الحتة اللى بتيجى منها

المطرة››

ماذا يحدث فى الدنيا إذا استطاع المطر أن يهبط على المنطقة التى توجد فيها فلة. يهبط بها معه. حسابات الأرصاد معقدة ولكننا نحن كأشخاص بالغين يمكننا أن نتخيل الصورة كاملة. الرعد الذى يكون وقعه عنيفاً، طالما أن فلة تسكن فى المنطقة المجاورة، يمكنه أن يؤدى إلى إصابتها بنوع من الصمم. الصمم لن يسمح بأن تتلقى فلة صوت ‹‹بس بس›› أو طرقعة الأصابع التى يتم عادة النداء بها عليها. والرعد عادة ما يكون مصحوباً بالبرق الذى سوف يساهم فى تلويث فروة القط البلدى الجميل ببقع من الدماء قد تقضى على فرصتها فى إكمال حياة جذابة بالنسبة للذكور فى سبيل المحافظة على العائلة القططية. كل هذا يمكنه أن يحدث لفلة بسبب المطر. فلة، ينصرف عبده عنها نتيجة لعدم التعرف.

* * *

من أجل النظافة، دخلت الملابس الغسالة الفول أوتوماتيك. أُغلقت وتُسمع تكة. تدور وتدور الملابس. زرار البيجاما يرتطم بالنافذة الزجاجية للفتحة. الفتحة فتحة كبيرة. فى حلة الغسيل فتحات صغيرة تبتلع الماء الموجود فى الحلة وتدفعه إلى الفتحات الصغيرة الموازية لها فى الغطاء الموجود على سطح البلاعة. المياه فى الداخل مع الصابون تتخلل الملابس. العرق الذى استغرق ساعات وساعات النوم واليقظة

لكى يختلط بالخيطان يذوب هكذا فى دقائق مدة البروجرام الخاص بالملابس القطنية. الناتج القذر - فى اللحظات الاستاتيكية القليلة - يتجمع على نافذة الفتحة ويرتفع. تتفجر فقاعات الصابون وتصعد أخرى إلى أعلى. يندفع الجميع إلى الدوامة الإستاتيكية مرة أخرى. وهكذا دواليك حتى يتدخل التليفون برنينه. ماء يد إنعام المبلولة يغمر الفتحات الصغيرة الموجودة فى الميكروفون. الفم الكبير ذو الفتحة يبتلع الميكروفون. ينفتح وينغلق والفتحات الصغيرة دائماً مفتوحة. الموجات الصوتية تتحول إلى حركة حبات الكربون الصغيرة. الكهرباء الناتجة تنطلق عبر الأسلاك ثم تصل إلى الناحية الأخرى. تحرك حبات المستمع وتظهر فى أذنه.

‹‹آلو››

‹‹آلو... أيوه يا ست إنعام أنا إسماعيل››

‹‹إزيك يا بيه؟››

‹‹انتو اللى إزيكم، عاملين إيه؟››

‹‹كويسين››

‹‹أمال مال صوتك متغير كده ليه؟››

‹‹أصل عبده جاه على بالى››

«تعيشى وتفتكرى يا ستى وإزاى بيب وأبو اليسر؟»

«أبو اليسر فى الكلية وبيب نزل يجيبلى شوية حاجات»

مرة أخرى تعبر الشوارع يا بيب. تختلط بالوجوه. وما زال بعض الناس يعتقدون أن إشارات المرور تأخذ اللون الأخضر لإفساح ميدان الرزق أمام باعة الصحف المتجولين.

يوليو ١٩٩٣ ـ مارس ١٩٩٥

ميدان الأوبرا ـ القاهرة

* * *

# قصص

# خيوط على دوائر

نشرت هذه القصص فى كتاب «خيوط على دوائر» الصادر عام ١٩٩٥ عن دار شرقيات.

# سكك حديدية خطرة*

- برولوج -

- أنا خلفك. أنا أمامك.
- أَنْظُرُ. أَنْظُرُ.
- فى تقاطعات. إلى الفراغ.
- شعر رأسك. الممتد.

أنا بجانبك إصبع يدى الصغير يجاور مثيله عندك، يدى هى اليسرى بينما أنت اليمنى. كتفى الأيمن فى كتفك الأيسر.

صدران متوازيان. الأنف على الأنف. القدم اليمنى أمام اليسرى. العين اليمنى تحتاج لحركة المقص لكى تصبح على مثيلتها. تتداخل الرموش.

- اليوم السادس من يوليو. غداً السابع ... عيد ميلاد أبى المدفون .

(*) كتب هيثم الوردانى ووائل رجب معاً هذا النص

كمية الأوكسچين تصبح محدودة غير متجددة تحت الغطاء، متى ستأتى اللحظة التى ينتهى فيها كل الهواء؟ أردت أن أعرف. لا أرى شيئاً، أسمع فقط صوت القطة التى فى حضنى، أتنفس بارتباك. أختنق، أزيح الغطاء، تبقى القطة وكمية الأوكسچين المحدودة.

من البطانية ذات المربعات الأحمر والأسود، يمكن جمع أسلاك الصوف المتناثرة لتكوين نقطة حمراء مدلهمة مستديرة. من نقطة المركز تتبع كل الخيوط. خيط أول... ثان ... ثالث ثم ثقيل. خيط أول... ثان... ثالث ثم خفيف. خط أفقى ثم آخر عمودى. مرات كثيرة آفاق على عواميد. يتكون جسم الحشرة ذات الأرجل المتشابكة المحتلة للمركز. يتكرر المشهد الأخير حتى تمتلىء به المقبرة.

المقبرة مكان سرى.

تسلقنا السور الحجرى وقفزنا لنحضر الكرة التى سقطت، لم يكن هناك غيرى أنا وهو، يجب أن ننتبه جيداً حتى لا نمشى على تلك المساحات المحددة بأحجار على الأضلاع، كان يجب أن نحضرها لأنها ليست كرتنا، خلعنا أحذيتنا، تسلقت السور بمهارة وجلست على حافته العلوية لكى أرى، ثم قفزت، لا يجب أن نزعج أحداً، كيف يمشون على هذه الأرض المليئة بالأشواك؟ الكرة هناك، طرق ملتوية كثيرة محفوفة بأشجار شوك كبيرة، شوك أخضر مدبب، لا يجب أن نزعج أحداً والكرة ليست كرتنا، عندما جلست على الحافة العلوية للسور كان هناك معول مغروز فى كومة رمل بجانب فتحة مستطيلة غير مكتملة فى الأرض.

كان لابد من حفر الأرض لغرز البذرة الكروية. ثم يعود الظلام ليلف البذرة المعتادة سابقاً عليه فى قلب الثمرة الأم، ينطلق خط إلى أعلى ثم تظهر ثلاثة أشواك جانبية. مع كل تزايد فى الارتفاع تظهر ثلاثيات جديدة. عندما تنتحر أشعة الشمس على الأشواك، تصيب بعضها بلعنة الموت فتصفر وتلتصق بأسفل القدم الحية التى تنتصر. أما الأشواك الخضراء الناجية فتدخل صراع الحياة القوية مع الدم النابض.

القطة الصغيرة تموت لأن القطة الأم ماتت وأنا واقف فى يدى قطارة مملوءة باللبن، يسيل اللبن على يدى بعد أن يخرج من فم القطة الصغيرة. على ساعدى: خطوط بيضاء رقيقة تسقط نقطة نقطة على الأرض حيث أقف ناظراً إلى عينيها، أدخلت إصبعى فى فمها حتى لا تخرج روحها مختلطة باللبن المطرود، أنا منتبه جيداً هذه المرة.

عند انفجار كيس اللبن، تهيأت خصل الشعر للانحناء والتساقط فيما بعد إكراماً لمنظر اللبن المتحرر. عند الغلى، بدأ الأخير يرتفع. على وجهه، كانت حبات الردة الخاصة بالخبز الذى تصادف وجوده فى نفس اللحظة فى الكيس الكبير الحاضن للانفجار. تحترق الردة على جوانب الإناء. تتكون طبقة ثابتة مرتفعة من اللبن، يحرم عليها الاختلاط بما هو أسفل، يظل الحال هكذا حتى تنسحب الحرارة .

ـ الفصل الأول ـ

**الذراعان** كالصليب، والهواء يمر من الفتحتين، يندفع إلى الداخل ماراً بالصدر، الهواء الأكثر برودة يتجمع حول البروز المستدير في أقصى الصدر، ثم يبدأ الرقص، قدم تنثني خلف الأخرى، ذراع تلتف تنحني، صليب راقص. غبار يثور يتحرك من تحت الأقدام حتى يختفي داخل الأشجار.للمصلوب عينان: عين الإنسان وعين الرب، للرجل العجوز قدمان: واحدة في الدنيا والأخرى في الآخرة. فوق الميت تنمو عيدان خضراء رفيعة، تتكون من عقل كثيرة. هي أوراق خضراء ملفوفة على بعضها البعض. عندما ينتهي فض الأوراق يوجد الفراغ إلى الجذور. من الفراغ يمر الهواء الصالح للتنفس.

جدي مات ولكن جدتي لم تمت، لا أعرف جدي، أبي يذهب إلى المقبرة كل شتاء، لا أحب الأماكن المغلقة التي ينظر اليّ فيها الغرباء ولكنني سأذهب إذا ماتت جدتي.

الرقص الحر محاولة جادة لتحريك الثابت. محاولة محروسة لأنها تدخل فى إطار العرض. قدماها مقص حول عنقه. شعرها يلامس الأرض. يدور بها بعنف. العرق يظهر ويعبر عينيها من أسفل إلى أعلى. رغبة الأرض فى الالتحاق بالرأس فى السماء تدفعها إلى التشبث بذراعيه. (الأوراق الخضراء للفول السودانى تقود الشعور إلى الحبات المغروسة فى الطين. من أجل أكل ثمار الفول اللذيذ، لا بد من التكسير).

بعد أن يتخلص من الثوب الأبيض يجلس عارياً متكئاً على الحجر الذى يوضع تحت رأسه، ثم يتجمعون فى المساء عندما نرحل يثرثرون ويدخنون بشرط أن لا يشعر أحد بشىء، أنا غير معترض بل أحترم ذلك وأرحل قبل أن ينزل المساء، ولكن ليس من النبل أن يغرى أحدهم الرب بمعاقبتنا لمجرد أن صوتنا كان عالياً. بالرغم من ذلك أبحث دائماً عن السطح الصلب الجاف للأرض الذى تبرز منه صخور سوداء جرانيتية تتجمع فى مستطيلات، هذا السطح الصلب لا يفصله أى شىء عن باقى الأرض حيث أضع صخرتين متشابهتين، المسافة بينهما أربع خطوات وأقف.

«هل رأيت الذى حدث؟ (صمت) ... توقف واستدار ثم ابتعد عشر خطوات لوضع المبارزة. كنت أنظر إليه وتوقعت أن يرانى. وجهته من بعيد ولكنه كان قد أصبح شبحاً. عندما حاولت أن أعيده بشراً مررت خلاله ولم يشعر بى، البخار الذى أخرجه من فمه تراكم على شفافية عينى. حاولت من أجله أن يأتى إلى عالمى. عندما وصل، ظللت أنا فى داخلى».

لم أصدق أن الرب فى مقدرته رؤية جميع الأماكن فى نفس الوقت، ولكنى كنت أحسده على كل حال. ترى ماذا يحدث عندما أرحل؟ لابد أن يحدث شيء أثناء غيابى. تظهر الأشباح البيضاء تمرح هنا وهناك، يتم سلخ وتعذيب من يظهر فى المكان هذا الوقت لسوء حظه، الوحوش التى ليس لها أشكال محددة تختطف الأطفال وتدفنهم أحياء بجانب القبور الأخرى، تتحرك الهياكل العظمية، كل هذا لأنى لست موجوداً. أصبح يجب علىّ أن أعرف جيداً متى أكون موجوداً ومتى يجب أن أنصرف حتى لا أتعرض للخطر.

- استراحة -

قبل الفصل الثانى، بدأت تتشكل عملية مزدوجة من الانكماش وأخرى منفردة من التمدد. فى الازدواج سيطرت النزعة البشرية اللحمية وبدأت تتسرب. فى حين أن الدود كان ينكمش ويتمدد فى موجات تتابعية. أجسام أخرى آخذة فى الصعود والهبوط... فى الصعود والهبوط. بقايا اللحم فى سكون وأيضاً العظم من الخارج على الأقل.

بعد فترة تتحول الحركة إلى قوى استاتيكية.

لا يوجد دود، لا توجد هياكل عظمية.

لم يحدث ليدى شيء عندما وضعتها فى باطن الأرض. أستطيع أن أحرك جسدى بعيداً عن طابور الدود المزعوم، أمدد جسدى فى المكان. أنظر إلى أعلى، ألف يدىّ حول صدرى وأستمتع برطوبة الأرض بعيداً عن تلك الأساطير.

كـــان لا بد من التنويه من البـــداية أن المقــابر تحـملهــا أرض مرتفعة....

فى الليالى الممطرة ينحدر الماء بتراب الأرض إلى أسفل تل الحداد الصغير، يحمل معه آثار خطوات ندامى السمر الليلى المقصور على فئة معينة ، فى الصباح يمكن أن يدوس النهاريون على تراب الآثار ويعيدوا كل شىء إلى بدء خلقه. مع تعاقب السحب، يشح تراب القمة وتبدأ شواهد القبور فى البروز أكثر فأكثر. فى أسفل ينسحب الهواء من تراب الليالى الماضية المدفون تحت ما هو جديد.

الضوء على جانب واحد من الطريق.

تسليم الحركة يتم عبر سقوط ضوء الفانوس الأصفر على العمود المجاور. نقطة خضراء بعيدة تضع حداً لظلام الرمال الممتد خلف خط الفوانيس. استمر النقش المختلط لدائرة وتعاريج الأحذية على التراب. النجمة البادية على اليسار تسبق أخريات تكون شكل المغرفة وعلى امتداد الأخيرة يوجد القطبى. فى ضوء السيارات القادم من الخلف، يرتعش على الأسفلت ظلان نحيلان طويلان، أحدهما يتقدم الآخر. ينحرفان بسرعة على جانب الطريق مع اقتراب السيارات ثم يختلطان فى الخلفية قبل أن يختفيا تماماً.

---

يرجع الفضل فى فكرة الاشتراك فى كتابة هذه القصة إلى تجربة القاص خالد عباس والشاعرطارق محمود .

---

# الدود والديدان

**قالوا**

على إننى كنت سميناً عندما كنت صغيراً في بطن أمى. وأمى كانت نحيفة والمادة المصنوعة منها بطنها كانت مرنة إلا أنها لم تكن تصل لمرونة الشرابات الأول سايز الحريمى ولذلك لم تستطع أمى أن تستوعب بسهولة كبر حجمى وحركتى العنيفة داخلها. ومن ناحيتى أنا كنت أحس بالضغط وضيق المكان من حولى مما أدى فى النهاية إلى ظهور طابعى المتمرد العنيف. وقد أوصلنا هذا الصراع إلى أننى خبطتها فى مرة خبطة قوية من الداخل آلمتها فلعنتنى وانبعج طرف إصبع قدمى اليمنى الصغير بشكل ملفت لنظركم عندما تروننى أضعه فوق المائدة لأريكم إياه بعد انتهاء عملية الكتابة. وقد استمرت هذه الرغبة فى التمرد وشغل حيز أكبر من المكان بعد خروجى من داخلها. فقد كنت آكل بشكل غريب. على سبيل المثال كانت أمى تصنع شوربة الخضار بما تحتوى عليه من

كوسة وبسلة وجزر وبطاطس وتضرب كل هذا جيداً فى الخلاط فيصبح عجينة طرية يمكنها أن تلصق أى كائن بشرى بكرسيه. ولأننى لا أحب الملح وضعت السكر. وعلى مسافة الخمسة والعشرين سنتيمتراً الملائمة للقراءة الصحية، وضعت أمى كرسى المطبخ الصغير وعليه السلطانية. ومن السلطانية إلى فمى كانت الملعقة تقطع المسافة فى الاتجاهين. إلا أننى كنت فى تحرك الملعقة فى الاتجاه المضاد لى، كنت أبكى. وهذا فى انتظار العودة. ألصقت أمى الطبق بفمى وانطلقت تقذف حمولة الملعقة فى جزء من الثانية وبذلك تم استهلاك وقت البكاء. وفى الحلو كنت أبلع العنب الأسود الكبير دون مضغ مما كان يمرره إلى قاع الكابينيه فى شكل صحيح. وعندما يكون زمن مروره أسرع من زمن ذهابى إلى الكابينيه كان يترك بقعاً بنفسجية اللون فى قعر اللباس. ولكل هذه الأسباب كنت ممتلئاً، أحمر الخدين، كلى صحة. واليوم وأنا فى الرابعة والعشرين مات أبى من عامين. وبدأت أميل إلى التمدد فى الاتجاه الرأسى. واختفت صورة طفل «سيريلاك» الذى لا يجد الهواء مساحة فى وجهه من جسمى. وقالوا على إننى أحمل معملاً للديدان فى بطنى وإن هذا قد يحولنى إلى رفع الدودة . وطلبوا منى التحاليل فحللت. إلا أننى ما زلت أعانى سيولة الداخل إلى الخارج. من الخلف فى أسفل، إسهال. فى الوسط آلام عنيفة ورغبة دائمة فى الطرد إلى أعلى الذى يستقبل الإشارة ويدفع ببواقى الشعرية واللحمة إلى طرف الحذاء البنى على أرض شارع قصر النيل. تتكون أشكال مهضومة مما يؤكد أن المعدة لم تكن عندها الرغبة فى نقل الأكل إلى الأمعاء التى

كانت تتعامل مع العنب الأسود الصحيح. الدبابيس تظهر فى كل جسمى بمجرد أن أتحرك. أخلع البلوفر والفانلة والبنطلون ثم اللباس عسى أن أجد شيئاً عالقاً بها من الداخل إلا أننى لا أجد. وعندما ألبسها تعود الدبابيس. جسمى لم يعد يتعرف على شعرى فيلقى به على المخدة وأنفضها كل صباح. وأنا لست بحاجة لأحد لكى يشرح لى مشكلتى التى تتلخص فى شعورى بعقدة الذنب ناحية والدى. لم أعد أستطيع أن آكل وأغذى الديدان فى حين أن والدى يخضع منذ عامين لعملية عكسية. أفهم ذلك جيداً وما زلت لا أجد حلاً.

مارس ١٩٩٤

# الممثلة والغجرية

«وفي نفس اللحظة، تركتُ قمة البرج».

عندما انطلقتُ لمقابلة صديقنا الذى حدثتكم عنه سابقاً، لم أكن أتوقع أن أرى هذه الفتاة الصغيرة. هذا لا يعنى أن هذه الليلة كانت مقصورة على الرجال فقد كنت فى الأساس ذاهباً لرؤية فتاة من نوع آخر. كنت دائماً ما أرى فتاتى هذه هادئة، مبتسمة تشعرك بالرغبة فى البكاء ما بين نهديها.ضعيفة فى كل اللحظات التى تتراءى لى فيها. ربما لذلك أحببتها. ضعيفة لدرجة أنك لا تراها هى وجهاً وفماً، خصراً وجنساً بل ترى خيال كل هذا. قد تظهر فى بعض اللحظات بيضاء وفى أخرى حمراء. تغير الألوان هو علامة على محاولة الحياة التكيف مع الطبيعة. (كتاب الأحياء للصف الرابع الابتدائى ـ منهج قديم)

(سكون)

---

«نظرتُ من أعلى، كانت صغيرة»

كنتُ دائماً ما أشعر بالرغبة فى وضع الغجرية ما بين شفاهى. الجو الذى يحيط بها كان يخلق داخلى حركة الاقتراب.

اقتربتْ منى، لم أتبين بسرعة أنها تعرف من كنت معهم فى هذه الليلة.

- نروح فين دلوقت؟

- معرفش، أى مكان.

- زى إيه؟

- «الفيشاوى»!

- لأ «السكرية» أروق.

ياما مشيت فى الشوارع دى لكن ما دخلتش أبداً يمين وبعدين شمال عشان الاقى نفسى فى وسط السكرية.

«نظرتْ إلىّ، لم تعد صغيرة»

بدأت تتغلغل بأظافرها فى شعرى الذى بدأ فى التساقط. التقطت إحدى الشعرات، أطولها، بدأت فى تمرير أظافرها على ثنايا الشعرة لتشقها. أخذت فى الهمهمة مع شعرتى. قبلتها فى فمى. مررتُ يدى

من خلال إبطيها خلف رقبتها، جذبتها نحوى، وضعت فمها على تفاحتى وأعدت إليها قبلتها.

وضعتُ صدرى على ظهرى وتحسست الأرض تحتى. تمددتْ على صدرى وبدأتْ فى فض بكارتى.

«وهكذا تركت قمة البرج»

«تضاء أنوار الصالة»

يونيو ١٩٩٣

# أبيض وأسود

## (١) ليل خارجى

يتـحـرك الأسـد بـعـرض البـلاتوه فى خط عـمـودى على المكان الذى يتمركـز فيه مقر شهوته: زوجتـه العزيزة. يدور عـدة دورات يمارس من خـلالهـا طقـوس الجـمـاع.

يرمق زوجتـه بنظرات شـهوانيـة تؤدى دورها فى حلبـة السيطرة التى يقوم بنصبها. يبدأ فى الاقتراب، يخترق حلبتـه، يبدو فى نظرات عينيه التوتر. تبدأ دموع الإثارة فى الالـتفـاف حـول أنفه، تتـجمع فى بحيرة اللعاب، تتحول إلى قطرات ثقيلة تتعلق بشعر ذقنه وتتركه. يلعق الأسد بلسانه لأسفل ثم يحركه فى حـركـة رأسيـة لأعلى على وجه زوجـتـه العزيزة. يرفع مـخلبه ويضـرب به خـدها ضربـة خفيفة. يفعل هذا وهو يكاد يغطى وجه زوجته.

تحرك زوجته ذيلها فى حركة مروحية وتخفض رأسها وتمسح بها قدميها الأماميتين. يقوم الأسد بتحريك يده اليمنى على جسدها. تبدأ زوجته في فرد قدميها الأماميتين. يصبح الأسد فى داخل مثلث قدميها. يحرك رأسه كله على خدها الأيمن ثم الأيسر. يضغط بقدميه الأماميتين على صدرها. يدفع بقوة من اليمين إلى اليسار. تنقلب على ظهرها.

(ينتهى المشهد بأن يطلق أحد المساعدين حقنة مخدرة على الأسد لتفادى الهياج الذى يصاحب عملية الجماع)

## (٢) نهار داخلى

يصحو «اسماعيل» مبكراً اليوم على غير عادته. يسأل والدته عن الجريدة لماذا لم تصل حتى الآن. يذهب إلى النافذة. يصطدم وجهه بعنف بلفافة طائرة. كانت هى الجريدة. يفتح الجريدة على صفحة الأدب: قصيدة جديدة لأحد الشعراء بعنوان «دخان الظلام». يلقى بالجريدة على المائدة ويدخل إلى حجرته مرة أخرى. يتحرك بعينيه على أرفف المكتبة. يختار «محاورات أفلاطون». يبدأ فى تقليب الصفحات. يبحث عن جملة معينة. يجدها ويرددها بينه وبين نفسه: «المعرفة أساس الفضيلة».

- إنت عارف يا حبيبى أنا قد إيه بحبك. لكن...

- لكن إيه؟

- حبنا لازم يكون له نهاية.

- وهى إيه؟

- إننا نسيب بعض.

تظهر الدموع فى عيون «اسماعيل» وهو يتذكر هذا المشهد بينه وبين نادية» بالأمس. يقطع دموعه صوت أمه وهى تنادى عليه «شفت يا اسماعيل الأسد اللى هرب من استوديو الأهرام».

يفتح «اسماعيل» باب الغرفة.

ينتهى المشهد

## (٣) مشهد ختامى

كاتب سيناريو يتحدث مع زميل له فى التليفون:

- شفت الراجل اللى كلّهُ الأسد، بيقلك كان قاعد فى الأوضة، راحت أمه نادها له، قام فتح الباب.

أبريل ١٩٩٣

# صديقنا

للإنسان

لحظات لا ينساها، ولأقـدام صـديقنا المشلول خطوات لم تمشها.

لم يكن يدرك «عكاوى» أنه لا يسـتطيع أن يكتب ولكنه أدرك فى لحظة أنه يستطيع أن يرسم إصبعه على الطين المبلول. فى اللحظة التى وقف فيها تحت العارضة كانت الشمس قوية للدرجة التى تحرق جلد ركبتيه وبالتالى تؤثر على حساسية الركبة للكرة والضوء.

خطر على باله أن يضع شبكة من العارضة إلى القوائم لكى تحمى رأسه من الشمس ونفذ فكرته سريعاً لكن الشبكة كانت ثقيلة للدرجة التى غاصت بالعارضة والقوائم فى الأرض ووجد «عكاوى» نفسه مرة أخرى أمام الشمس.

«شال الشبكة وحط الشبكة وشال الجون من تحت الأرض»

والغريب أنه فى كل مرة كان يضع فيها «عكاوى» الشبكة كان المرمى يغوص فوق خط المرمى بالضبط وكأنه إسم على مسمى. لم يفكر «عكاوى» مرة واحدة لماذا تطوع واختار أن يقف تحت العارضة. ربما لأن المتطلبات الوظيفية لحارس المرمى تسمح له باستعمال يديه وبالتالى يستطيع أن يتغلب على شلله أو ربما لأنها المنطقة الوحيدة فى الملعب التى يتوفر فيها نوع ما من الظل بصرف النظر عن المقصورة.

كانت نظرات «عكاوى» وهو على خط المرمى لا تتعدى الخطوط الثلاثة للملعب. الجميع جالسون إلا من هم معه وضده. من موقعه يستطيع أن يكشف الملعب من أمامه وهو الوحيد الذى يستطيع أن يستعمل «ايده ورجله» فى قذف الكرة إلى أعلى مكان. توالت عليه عقود الاحتراف للكرة التى يقذفها، منها طلب المخرج التلفزيونى أن يضع إحدى الكاميرات فى الكرة لكى يستطيع أن يلتقط صورة للملعب من أعلى نقطة ولكنه رفض لأن الكاميرا لن تكون فى متناول قدمه رغم أن المخرج «باس رجليه».

كل هذا حدث قبل احتساب ضربة الجزاء. لحظات طويلة مرت عليه وهو يتمشى على خط المرمى يساوى النجيل ويزرع وردات صغيرات عند القائم وفوق العارضة.

شاهد خصمه يأتى من الطرف الآخر للميدان، يتقدم بقدميه.. بحذائه.. بجوربه.. بشورته.. بفانلته.. بيديه. والكرة فى يديه.

كان يلبس ملابس الحداد.

تبادل «عكاوى» معه النظرات لمدة ثانية أو ثانيتين. لم يتحمل أكثر من ذلك، قذف نظراته بسرعة لم يستطع معها الآخر أن يتابعه. اقترب «عكاوى» منه، داس على قدمه، وضع قدمه اليمنى على ركبته اليسرى، وضع قدمه اليسرى على عضوه، تعلق بفمه ووصل إلى شعره الكثيف الأشبه بسعف النخيل. مارس معه الجنس. عاد مرة أخرى هابطاً على فمه، على عضوه، على ركبته، على قدمه، نزل إلى الأرض ليجد البلح قد طاب واستوى. عاد صوت الملعب إلى أذنيه مرة أخرى. حاول الرجوع إلى خط المرمى.. ولكنه لم يستطع. جموع البشر تحمله على الأعناق فرحة بانجازه التاريخى. ضربة الجزاء كانت لفريقه وقد أحرز هو الهدف.

صديقنا قد مات.

ويروى عنه أنه أراد أن يشهد لحظة موته. لم يغلق جفونه وشاهدت عيناه طين الملعب وهو يدخلها.

سبتمبر ١٩٩٢

# خلف ثلاثة ألواح زجاجية

**«على الفنان الحديث أن يضيع ثلثى وقته فى محاولة أن يرى المرئى وعليه أن لا يرى اللامرئى».**

**بول فاليرى**

## (١)

**من** بعيد كنت أتجه فى الظلام إلى حيث اليافطة الصغيرة المضيئة. كانت السيارة الصغيرة المسرعة تحتك فى انطلاقها بحافة نعل الحذاء غير متكافئ الارتفاعات نظراً لطريقة المشى الخاطئة. فى نفس الاتجاه، كانت درجات السلم تهبط من المحل المرتفع. من بعيد كانوا يقفون كباراً. وعلى الضوء الخفيف المنبعث والمخترق لأجسادهم ظهرت حواف مضيئة

لتكتلهم الأسود. كانوا يتحلقون حول أقصرهم قامة، يقتربون منه فى عنف ويرفعون أياديهم المضيئة من ناحية الراحات لتقترب منه فى سرعة صاعقة وتنهمر عليه ليهتز ويحاول أن يعرف فى رهبة على أى جزء من جسمه تكسرت أيديهم. ولكنهم فى تجمع يحيطون به مرة أخرى ويجبرونه على عدم المواجهة. بدأت الضربات تنهمر متوالية ولم تعد راحات الأيدى هى المنطقة الوحيدة المستخدمة للاعتداء. وبدأت محاولة الوعى من جهة المعتدى عليه تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح منهكاً. كان كل شيء يدل على قوة عزيمتهم واستسلام الآخر. فى عطف، اقترب أضخمهم منه، فرد قامته المنحنية ثم وجه له لكمة قوية أطاحت بكتفه الأيسر. على الأرض، كان الهواء يحرك بقعة الماء الصغيرة التى بدأت تتلقى حبات العرق المتساقطة من جسد الضعيف. بركة الماء تلقت وجه الشخص الذى انكسر. كنت قد بدأت أقترب. نظر أضخمهم إلىّ. كان الضوء ينعكس على نظارته القاتمة.

(٢)

كان الضوء الذى يظهر من خلال تقاطعات أجسامهم يقع على عينى. هذا الضوء الخافت الذى يفلت من ملابسهم الداكنة كان يتجه إلى قميصى الأبيض المزركش فيكون خطوطاً بيضاء على الوردات الخضراء الصغيرة وفى بعض الأحيان كان ينعكس على الزراير البلاستيكية ذات الفتحات الأربعة. يضيع الانعكاس الفضى الشفاف فى المسافة التى تقع بينى وبينهم، كانوا يقتربون منه ثم يبتعدون. فى البداية كان ثابتاً بعض الشيء إلا أنه أخذ يتساقط شيئاً فشيئاً. وكل فترة،

كان الغبار يتصاعد مكوناً هالات من الضوء المغبش حول أجسامهم الكبيرة. هى لحظات وسوف يقع بالتأكيد. وهو يفقد وعيه شيئاً فشيئاً. حاولت أن أقترب منهم إلا أنهم أحسوا بى.

## (٣)

فى يدى التى تكون خلفية الساعة كان عقرب الثوانى يتحرك فى سرعة محمومة ليحرك عقرب الدقائق الذى تتحطم حركته على بطء الساعات. وعندما كان يفلت الضوء من أجسادهم كان يلمع على زجاج ساعتى ويعوق رؤيتى لحركة العقارب الدؤوبة المملة. هذا الإحساس بالسخونة التى يتركها أستيك الساعة ما زال يلازمنى رغم الهواء البارد الذى يحملنى إلى حيث يقفون. كانوا ما يزالوا يقتربون منه ويبتعدون لينقضوا مرة أخرى وفى محاولاته الأخيرة للاستدارة لمواجهتهم لكى يمنع شيئاً ما، كانت أيديهم كلها مرفوعة فى مواجهته بشكل يعجزه فيستسلم مرة أخرى للخيانة الضاربة من الخلف. على إبهامى، آثار الإسفنجة الزرقاء التى التصقت بها يدى فى الصباح. كان كل شىء يبعث على الحيرة والإحباط. ولم يغير هذا كونهم يلعبون مع هذا الشخص الذى يرغب فى معرفة مصدر الاعتداء.

ديسمبر ١٩٩٤

# نصوص لم تنشر

# مقدمة

**أنت** الآن تمشى فى المظاهرة الكبيرة. وعندما تشاهد رجلاً منتفخاً كأى بالونة منطلقة وتتأكد أنه ملتصق التصاقاً حتمياً بالأرض بينما يرتفع خيط رفيع من قاعدته إلى أعلى تدرك أن نظامك الكونى قد انقلب رأساً على عقب. وتكمل سيرك لتشاهد رجلاً آخر يطير على دراجته ممسكاً بقفازيه فى فمه لكى يترك ليديه حرية التحكم فى آلته. عندئذ قد تبدأ فى فهم سر انتشار الكلاب فى هذه المدينة. وتشاهد أحدها يجلس على معطف أبيك الذى ترتديه وتتساءل عن سبب رعب الأشخاص من هذه المخلوقات البريئة التى يمكنها رغم ذلك أن تدفع أحد المؤلفين إلى ملء صفحة من الرعب عن مطاردة ليلية. سوف تتساءل عن كافة مرجعياتك عندما تنظر إليك الكلبة نظرة حانية. وسوف تعيد التساؤل عندما تشاهد توكة فضية عليها عبارة بسم الله. وسوف تكملها فى

مخيلتك التنظيمية إلا أن تفككك الداخلى سوف يدفع بك إلى مازوشية عزيزة لكى تشاهد اختلاف الترتيب فتلاحظ الرحمن أقرب كلمة لخصلة الشعر المنحنية من أعلى. وبذلك تتأكد من أن باريس مدينة كبيرة بها غابة سيئة السمعة. وتتابع عيناك شريط الضوء الأحمر عابراً لقبلات المتظاهرين. وسوف يذكرك باشتعال سابق لسيجارة حمراء. وتكون ليلتك الأولى ليلة طويلة ويكون يومك الثانى يوماً نائماً. وتصحو لكى تمسك بشعرة قريبة من منبت عضوك لتقطعها وتمرر خيطها الأسود حتى جذرها الأبيض وتمشى بها محشورة بين أسنانك وعندئذ قد يدفع بها تيار الهواء البارد إلى الدخول فى فتحة أنفك. نعم سوف أراك وأنت تتحطم بشكل مؤثر وتدفع ببقايا حلمك إلى نوستالچيا خيالية وتحاول أن تتعرف على الشخص الوحيد الدائم الذى يضع سماعاته فى أذنيه. نعم عندئذ سوف ترى جيداً حقيقة كانت غائبة عن لحمك وسوف تكتشف أن الإنسان كائن واعى بحركة دمائه فى البداية. وتشاهد الآخرين وهم يتحركون بعيداً عنك فى كل اتجاه ممكن على الرغم من إمساكك بالريموت كنترول. ونكون إثنين رغم أنه قد تم حرمانك من ظلك بسبب السحب الكثيفة. ورغم كل شىء لن أقسو عليك فى الفترة القليلة المتبقية لأنك لست الشخص الذى اعتدتِ عليه.

باريس ٢٥/١٢/٩٥

# الطفولة السعيدة

**عندما** يدخل الموت الجسد لا يخرج منه.

والدخول إلى الحمام يختلف عن الخروج منه.

لأنك قبل الدخول تكون قد تأكدت من رؤية جميع الأوضاع والأجسام المشتبكة وتابعت تطورها على مدار أيام الجفاف. ثم تدخل لتتأمل مرة أخرى وسترى أن الوضع يستلزم الآن بعض الماء لنفش الرأس. وسيحدث وسترى السقوط.

***

وأضع يدى على خدى لأفكر فى خيبتى، إلى اليسار. ويبدأ الدم فى الانحدار والجانب الأيمن فى الاختفاء متجهاً إلى العالم الآخر.

***

نعم الفراغ موجود ولا يمكن إنكاره. وبدأ الشعر يلقى بظلاله على الجلد ويخلق خلقاً جيداً صومعة أو برجاً عاجياً، حسب الدين. مكان يصلح للاختلاء، حسب الحاجة. أنا أجلس فى الظلام أو فى الظل.

***

ووضع حقيبته بهدوء بجانب الإفريز حتى لا تبتل ثم انتحر.

***

الحمام ليس مجرد لحظة وإنما هو مرحلة.

***

منذ طفولتى، كنت أعرف أننى أرتفع وأن هذه هى فرصتى الوحيدة فى البقاء. منذ رأيت الأثر الواسع الذى تركته منفضة الطباشير على مؤخرة سمين الفصل وقارنته بالخط الحاد على مؤخرتى. لم أعلل ذلك باختلاف ظروف نقطة الالتقاء وإنما عللته بأننى شخص ضيق. وكان الطباشير علامتى الأكيدة.

***

الأمل الوحيد فى النمو.

***

ستنام على المخدة لإسكات مواضع الألم. ثم ستنفصل تاركاً لها بعض الذكريات.

***

«من المهم ألا تموت جذورك».

***

وماء هذه المدينة يتكون من الطباشير. وسوف يملأ سطح جلدك. وسينهمر مع تيار الماء السارى. وسيتم تحديد خط السريان بشعرات مستقيمة أو قليلة. وستصبح هناك ساحة جيدة للعب. يمكننى أن أصعد وأحجز الملعب المخطط بالطباشير مستخدماً كرة وحيدة تستعيد ذكريات الماضى السعيد.

***

أنت الساحر الذى يخرج من جيوب معطفه الواسع كتباً عن الموت.

***

الأمل الوحيد أن يأتى خارج عن المدينة ويبدأ فى إسقاط مائه العذب على جذع الشجرة وجذورها.عندئذ ستبدأ شجرة التبول فى زركشة السماء الخلفية بأوراق صغيرة. ودائرة القمر ستكون ظاهرة فى أعلى لإضفاء التأثر فى اللوحة المرسومة بالألوان المائية بطبيعة الحال.

باريس - أبريل ١٩٩٦

— ١ —*

- الفرنسيون يتسولون بدقة (١ ، ٢ أو ٣ فرنك).
- فى خشوع الإفريقى يصب سائل القهوة بينما يمسك بعمود الخبز الطويل فى فمه.
- توسى يخبئ عمره الحقيقى فى كرشه.
- بالوعات المراحيض الفردية.
- صبغ الملابس البيضاء.
- كرنفال التذاكر على الأرض معكوساً فى المرآة.
- إيرانى يحمل حقيبتين بلاستيك وينشئ حركة بمفرده فى شوارع باريس.
- «نحن مجموعة ونفعل هذا ونحاول. ليس لنا شبكة فى مصر».
- «كم عددكم؟».
- «اثنين».
- Just a little walk in our country... just a little wall---k
- اقترب من الشارع الذى يمكنه أن يقبل سيره. وضع يده على شعره ليتحسس أماكن الصلع الممكنة. وضع يده على الإفريز الذى كان موجوداً بالقرب منه.

* لم يضع المؤلف عنواناً لهذا النص، والذى بدأه فى عامه الأول فى باريس، حيث أنه لم يكن قد وضعه بعد فى صورته النهائية.

أخذ يتأمل قليلاً فى العالم الذى يوجد خلف نظارته. تحته يتحرك النهر حاملاً لوناً مكفهراً. ورغم ذلك فإنه إذا اقترب من الماء سوف يرى وجهه فى أحسن حالاته. كل شىء يغرى على الانتحار: مكالمة الأمس والآخر البعيد إلا أنه فى أغلب الظن لن ينتحر ربما لقناعات فلسفية تؤكد له أن الانتحار ليس حلاً وإنما رجوعاً إلى ما وراء النظارة. أغلب الظن أنه سوف يعيش على الأقل لمدة الأربعة أشهر المقبلة. ليس لأنها فترة مصيرية ولا لأنه شخص مصيرى يتنبأ من خلال وقوع ملعقته بالمأساة التى ستلاحقه ولكن فقط لأن أربعة أشهر فترة ليست طويلة يمكنه اجتيازها والوقوف على حافة شهر يونيو عند التقائه بيوليو لكى يرى ماذا حدث قبل هذا اليوم وماذا سيحدث بعد ذلك. وستترك نفسك عندئذ للموقف الروائى ليطيح بك. سوف يرى على الأرجح أن الحياة لم تكن تتكون من لحظات حسابية وإنما لحظة ميتة لا عقلية قد تسقط فيها كل شعاراته ويظل فقط ما هو حقيقى وربما أيضاً يتدخل داروين ليضع حداً لمشكلة الوجود التى تلاحقه. الآن بدأ يعرف عن قرب حقيقة الزمن النفسى. فهو يكتب لكى يستريح وربما أيضاً (منعاً للقسوة) لكى يمضى الوقت الثقيل الذى كان يمر فيما مضى بشكل مختلف وكان يحاول بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة كالعرقلة من الخلف، أن يعرقل هذا الزمن المتحرك بسرعة لكى يصل به إلى اللحظة القاسية.

هل هو لا يبالغ بعض الشىء . ربما. ولكنك أنت الذى تكتب لا تحاول أن تفرض قراراتك عليه لأنه بالتأكيد مصاب بنوع معين أو

شامل لأنواع الرعب. نعم الانزعاج قد يفجر قلب الإنسان وقد يوقف شعر رأسه أو قد يدفع به إلى الأرض المليئة به. نعم هذه هى اللحظات التى يحاول المرء أن يعرف فيها نفسه. وقد تمر بجانبه فى هذه اللحظة امرأة قد تبعث على الأمان إذا كان فى لحظة أخرى. أنت تكتب بالنيابة عنه لأنه لا يعرف ماذا يفعل وإنما يحاول للمرة الأولى فى حياة ما بعد الطفولة أن يعيش يوماً بيوم رغم أن هذا قد يرعبه إلا أنه سوف يقوم به لأنه يعتقد أن الخطر يهز كل أركانه ويجعله يكتب بشكل أفضل.

هو الآن لا يكتب. ولكن هل سيتحول إلى شخص مستسلم هادئ، لا أظن؛ لأن معركته لن تحسم فى لحظة واحدة ولأن الحياة هنا لم تكتمل بعد وربما تأخذ وقتاً طويلاً حتى تكتمل. هذه هى المرة الأولى بعد القصة الفاشلة التى يحاول فيها أن يعبر عن نفسه المتغيرة. ولكن لا بد من التغير، فليس فى الإمكان التوقف عن الحياة. أنت تقوم بِعد الأسطر. والانتحار قلنا من قبل إنه فاشل. محاولة الجرأة الهادئة محاولة ممكنة لأنها قد تعطى شيئاً جديداً. «علقة يا معلم».

نعم هذه هى اللحظات التى يشعر فيها بالأمان أو بتوقف الحلم عند لحظة الإمكان البطيئة . حالة الهذيان لا يمكن أن تستمر، وسوف تستعيد بمرور الوقت قدراتك النفسية والعصبية والشعرية (نسبة إلى الشَعر) أو حتى إذا لم تستعد الأخيرة فلن يؤثر هذا على باقى خواص برج الأسد والذى كنت تمثل إلى وقت قريب خاصية تماسه مع العذراء حتى فقدت عذريتك (فتح المعانى) نعم الجودة جزء كائن وموجود ليست بعيدة وعندما تتحدث مع الآخرين قد تكتشف تناقضك أو

اختلافك مع نفسك أو مع الآخرين (استغرق تماماً، لا تنظر إلى الساعة أو إلى مجد الكتابة) أنت فى أقرب لحظاتك إلى جوهر وجودك. الخوف الذى حرك فى داخله الرغبة فى الخروج والانكماش فى الداخل فى نفس الوقت. الخوف شعور جميل للتعايش. انتصار جميل الحياة كل يوم مع هذا الشعور حتى يتحول الى لحظة حياة يحاول من خلالها تفسير حركة أقدام البشر عند فتح الإشارة الحمراء. نعم سوف يحدث العبور ولكن مع الوقت وفى الخلف أشكال جميلة يمكن العودة إليها والرجوع مرات عديدة إلى الوراء و إلى الأمام. كل اللحظات التى تأتى وتمر هى لحظات مضافة وقد كنت دائماً تقول هذا لأصحابك فى أندلسية وكنت تتصور أنك الدافع وأنت فعلاً كذلك بالنسبة لنفسك وللآخرين لا تتوقف عند هذه اللحظة فلو كنت توقفت عند لحظة الموت السابقة لكنت الآن سماداً جيداً للبوص الذى ينمو بجانب حبيبك. ستظل دائماً لحظته بك مؤثرة فى كل الحياة التى تنتظر بجانب مناطق الشعر المنسحبة. هى لحظات جميلة. سوف تظهر كذلك عند عبورها وعندما تعانق شخصاً تعرفه وعندما تكتب كلمة وتقرأ أخرى تعجبك هذه ليست الكلمة الأخيرة ولن تكون إلا أن لحظات هامة تمر بك (أترك شعرك). نعم أنت الشخص الذى سوف يعبر شيئاً ما لايعرف. وستظل حياً رغم أنفك الذى يؤلمك عند شد شعراته القصيرة كعلامة على شجاعة التعامل مع الموت. (لم يمر وقت طويل، سوف تستمر فى الحياة مدة أخرى وحيداً).

١٦/ ٢/١٩٩٦

- الحمَام القريب.
- أقفاص البشر الزجاجية.
- من سجادة يتم تسليمك إلى سجادة أخرى.
- جدية قراءة القاموس بالمقلوب فى لحظة الفتح.
- دهس رؤوس البشر العابرين تحت أقدامى.
- سن البرجل الذى وضعته فى مشهد قديم فى ذراع أحد التلاميذ، يمكننى أن أضعه الآن فى لحظة التقاء الصليبة بالفتحة وأدور به لكى تحدث سرعة الدوران الملائمة لإنتاج غزل البنات الأبيض من السكر.

  وعندئذ يمكن تفسير الخلط بين غَزْل و غَزَل البنات (فيلم نجيب الريحانى).
- لِفّى.

  لتستدير ولتخلق بدورانها المتوالى بدء الارتفاع الهوائى.
- هل تفضلين الأفعال المتعدية أو اللازمة (النوم المفرد أو المزدوج): عبارة مثقفة.
- فى الأصل الإنسان كائن منغلق على نفسه حاول أن يلم بيولوچيته فى داخله إلا أن الوقت لم يسعفه (الحضانة داخل بطن الأم) فترك بعض الزوائد: الاسترسال فى تقطيب البروزات المنتشرة (قطع الأنف بمنتهى الهدوء).
- تضحك كسباق للعدو مع تخطّى الحواجز.
- الأكل بهذه الطريقة ليس جيداً للمعدة. الحياة ليست جيدة للمعدة.

- وكان العام بالصدفة (أضع تحتها خطاً) عاماً كبيساً.
- الفلسطينيون وقنابلهم المسيلة للدموع (البصل).
- النظرة المقلوبة للعالم: ليس صحيحاً أن الناس يحنون رؤوسهم فى الأزمنة الصعبة ويرفعونها فيما عدا ذلك. فالعكس أصح، ففى الأزمنة الميسرة، يمشى البشر منحنيين للبحث عن النقود التى يلقى بها الأغنياء على الأرض.
- أنت تغنى وتغنى ولن يترك أحد الصف المقدس لكى يعطيك نقوداً.
- الوجود هو أن ينحى الآخر يده من جانبك لكن يخف الضغط عليك. يحدث هذا فى اللحظة التى كان يمكن فيها ليده أن تمنع سقوط القلم من فمك إلى الأرض.
- عندما تهبط من الطائرة سوف تنظر إلى رأس كل منهم لكى تشاهد تقدم الصلع ثم تبدأ بعد ذلك فى تقبيلهم بحرارة.
- لقد تغير والدك كثيراً بعد موته.
- آلات التسجيل نظام مستقل يسجل من الداخل فقط.
- انطلق بسرعة لتجد نفسك أمام مرآة تعكس المشهد الخلفى.
- لإننى أقرأ ورأسى مائل إلى اليسار، قل اندفاع الدم إلى اليمين فبدأ شعرى الأيمن فى التساقط بشكل أسرع من مثيله الأيسر.
- عندئذ يمكنك أن تتذكر حركة يدى عادل إمام فى مسلسل «أحلام الفتى الطائر» وتتذكر أيضاً مشهد طعنة فى مرآة غرفة نومك.
- هذا الدوران السريع قد يؤدى إلى تكون الشبكة العنكبوتية، الشبكة

الخفيفة الرقيقة اللذيذة.

- هذا الرجل يكذب؛ فأنفه الطويل يدل على ذلك، كما علمتنا قصة بينوكيو فى الطفولة. هل الأمر له علاقة بالخلق الإلهى؟ وهل لا نستطيع أن نضحك؟... وهل نكفر عندما نضحك؟ لا أظن فأنا أثق فى مجموعة «أولادنا» الصادرة عن دار المعارف والتى ظهرت فيها بينوكيو.
- نعم سأحلم بكِ. وعندما تحين لحظة التحامنا، سأبعث إليكِ بتحياتى.
- الفرنسيون والشَرَطة بين الكلمات (الاتصال).
- إعلان: أنت تتخلص من سيطرة الصحافة وبقراءتك العفوية لهذا الإعلان (الصفحة) تصبح من قراء الجريدة.
- حواديت أبى وجدى.
- الاتصال عن طريق الكلاب.
- حادثة التليفون.
- الزبال رغم ارتباطه بالواقع الأرضى الذى يقوم بكنسه كل يوم، يضع السماعات فى أذنه.
- ثورة دريدا (لأول مرة منذ ٣٥ عاماً) بسبب دوران الكراسى ٤ مرات فى دائرة تتكون من ٥ أشخاص.
- صورة فى صفحة الوفيات فى الأهرام التقطت لشخص فى لحظة موته.
- السيولة التى تستمر مع المطر ثم تتوقف عند الربيع.

- مدينة رغم فرديتها تعتمد على فكرة الحشود التى تصب فيها كل الأفكار الأخرى. فمثلاً شارع مدرسة الطب لكى يتم مد امتداده ونفوذه تم جمعه (شارع المدارس).
- فى هذه المدينة، يمشى الناس مثل طيور البطريق، منتفخى الصدر، بسبب الشنط التى يحملونها على ظهورهم. ولكنهم يستخدمون تليفونات لاسلكية. يشبهون هذه الطيور فى مشيها البطئ لأنها لو أسرعت ستسقط وساكنو هذه المدينة لا يحبون الالتصاق بالأرض.
- «كِتْس»(1) عن الشاعر الخارق (Prodige): «إنه ليس هو نفسه، ليس لديه ذات، هو كل شئ ولا شئ، ليس لديه شخصية، يحب الضوء والظل، يعيش فى اندفاع. هذا الشاعر هو الشئ الأقل شاعرية فى العالم لأنه ليس لديه هوية، فهو يمضى وقته فى إلهام وملء جسد آخر».
- من الحياة فى هذه المدينة: عندما يتبول متشرد فى لحظة مغيب الشمس تحت شجرة خريفية سوف تبدأ الأوراق الخضراء الصغيرة فى زركشة السحب البيضاء.
- (بعد مضى ٤ أشهر)

أعرف جيداً أن سفرى إلى هذه المدينة أمر قدرى. والدليل الوحيد والأكيد على ذلك إننى سافرت فى يوم ٢١ رغم أن تاريخ ميلادى هو الثانى والعشرون ولذلك..

---

(١) جون كيتس: شاعر إنجليزى (١٧٩٥ ـ ١٨٢١)

- هل أنا قذر؟ لأننى كنت أريد أن يموت الأب - بما أنه ميت ميت - قبل انتهاء الدراسة ليكون عدد المعزين أكبر. أنا نادم على معرفتى بعض الأشخاص قبل هذا الحدث.
- فى المترو، إلى رجل عجوز:

- « هل تريد الجلوس يا سيدى؟ »

- «لا، فأنا لا أعمل، فلقد تعديت سن العمل».

- حالة العمى التى أصابتنى بدأت بشكل تدريجى...
- بكل حماسة، سأقوم بمغازلة النساء.

هو: أنا لسه جاى من كام يوم وما عرفش حد، فلو ممكن...

هى: وانت؟

أنا : شرحه.

- مخلاة العساكر تشبه أجولة البطاطس. لذلك عندما يجلس هؤلاء العساكر فوق الأجولة فستنمو عندئذ تدريجياً أوراق البطاطس الصغيرة لتداعب مؤخرات العساكر. وهذا هو أحد التفسيرات الممكنة للإشاعات الرائجة عن وجود بعض العلاقات المثلية (الشاذة) داخل صفوف الجيش.
- لن أفقد الثقة فى طفل ما لا يتصور بطبيعة الحال أنه سيفقد شعره وسيظل دائماً متمسكاً بلحظة غير قابلة للفقد.
- الجسد جسم موصل جيد للحرارة.
- عندئذ سيحضر الكاتب - المفتش ليتأكد من وصول معنى كلماته.
- قطع الزلط الصغيرة تتحول بسهولة إلى جماجم قد تراها فى مقبرة عظام كنيسة شرقية أو غربية.

- لأننى كنت أشاهد «بانان» من أعلى بدا لى مقطوع الرأس عبر الحاجز الحديدى (حركة رأسى وصعود وهبوط حالتى النفسية).
- «متحف الحياة الرومانسية».
- انتحِر وتخلص.
- وضع حقيبته بجانب الإفريز حتى لا تبتل ثم انتحر.
- تعلم مرافقة ضعفه.
- عندما يدخل الموت الجسد لا يخرج منه.

لأن دخول الحمام يختلف عن الخروج منه.

فعندما تدخل الحمام يكون عدد شعر رأسك أكثر من العدد الذى تخرج به.

المرآة - المشط - البلاعة - الكوع المسدود.

- الطفولة السعيدة.
- أنا طفل، لا أؤمن بالصلع.
- سيذكرك ذلك اللون الأبيض بالحمامة التى تتجه للأرض بجناح منفرد لأنها معلقة على فرع شجرة.
- والمرأة التى تمسك بفمها كارت التليفون لكى تؤكد على تمسكها بالاتصال بالعالم.
- وأضع يدى على خدى لأفكر فى خيبتى ، على اليسار. ويبدأ الدم فى الانحدار والجانب الأيمن فى الاختفاء متجهاً إلى العالم الآخر.
- نعم سيصيبك الارتباك وستبدأ فى البحث فى كعب حذائك عن رائحة شعر إبطك.

- بعد الفرملة، سيعبر المهرج حاجزه الأسود. ويرى جمهور وسائل المواصلات وجهه بجانب العروسة. وهذه فرصة جيدة للأذهان الرمزية «واحد.. اتنين.. ثلاثة» ولتبدأ الأذهان الرمزية فى العمل.
- ديانة الشنق.
- علامة الانسجام داخل الـ Couple أن يمسك الطرفان بجزئى «الإخوة كارامازوف».
- «فاكر موضوع الجنس» هيثم ووائل.
- صباح الممارسة: قلب وحلم وملاءة جديدة.

نعم، أتذكر عندما كنت تستيقظين بينما كنت أداعبك بعينىّ وأنت تفردين جسدك الرخو. وللأسف غلبنى الفكر المادى كالعادة لأننى لم أكن أعرف ماذا أفعل بتذاكر المترو الباقية والتى لا توجد لدى فرصة لاستخدامها. «أنا مستعدة أبيع نفسى عشان فنجان قهوة».

«اديك يا عم وجدت صرفة للتذاكر»

(ربما يمكن استخدامها مقابل شىء ما).

وأتذكر أيضاً حلم التحامك بى والتفافنا السريع فى الهواء حول عمود ما. ثم بدأت شبورة الحركة/ شبورة السكر. وظهر غزل البنات الجميل ليفرح الأطفال وفهمت لماذا كان أبى ينبهنى دائماً إلى عدم الخلط بين غزْل البنات وغزَل البنات.

- الأصابع القذرة علامة التهميش (فى الاتجاهين - سحب الكرسى بمنتهى البساطة).
- ويصبح شراء الحجم الكبير من علبة الواقى الذكرى علامة على الحب العميق طويل العمر.
- لم أكن أغير ملابسى لأننى لم أكن نفس الأشخاص عدة مرات وراء بعض.
- الأجراس والمهرجون (موسيقى).

- ٢ -*

● أصابتنى حالة من الزهور.

● أصابتنى حالة من البطيخ بدأت أحس فيها بتفتت مكونات جسمى السوداء.

● الكتابة كانت محاولة لتحريك عضلات اليد.

● رجلان يقتربان على الماء. والقمر تم تنزيله على الماء حتى يلامس أقدامنا. سررت.

● اختلافى مع الطبيب المعالج حول ملكية المرض الشاذ (اسمى أو اسمه).

● السرتنة والتفاعل مع صورة الفن التشكيلى (المرأة ذات الجسد العارى).

● أنا والأب.

«عاوز تطلع إيه يا حبيبى لما تكبر؟».

«عاوز أطلع ميت».

● ربما إننى كنت بحاجة لموت شخصى.

● أبكى، نعم أنا الآن أبكى بدون صوت أو بصوت لا يهم المهم إننى بدأت مرحلة جديدة من البكاء، من محاولة الوجود ولو للحظة بسيطة تالية. لماذا يحدث لى كل هذا؟ لماذا أصاب بالسرطان فى سن الشباب؟ لماذا لا يكون كل هذا حلماً مفزعاً أستيقظ منه بتحريك يدى على وجهى الباكى؟ هل من المفروض أن أنتظر

* العام الثانى للمؤلف فى باريس وقت اكتشاف إصابته بمرض السرطان، وقد كتب هذا الجزء أثناء تلقيه العلاج بمستشفي «بروچون».

فرَجاً أو أتحمل عذاباً أكثر من ذلك؟ لم أعد أفكر في الانتحار لأنه ببساطة أصبح موجوداً. لماذا تتعامل مع مرضك على أنه سر لا يعرفه إلا عدد معين من الأشخاص. هناك أشخاص لا تعرفهم بتاتاً يعلمون أنك مريض وأعز الأشخاص عندك لا يعلمون ذلك، فلتحاول أن تشترك مع الآخرين. حتى لو رفض البعض فسوف يقبل الآخر وستحاول أن تتقبل الرفض والقبول لأنهما من الحياة وستتقبل الألم لأنه من الحياة وستبدأ في تكسير حواجز تمنعك من نفسك، حواجز منها الألم والخوف، وستحاول أن تتعلم الحياة لأنك تعيشها ولأنك قاتلت وتقاتل لاستعادتها لأنك على طرف إصبع قدمك الصغير. ستكون حياً وستبدأ مشاكلك في الحل شيئاً فشيئاً لأن الحياة لابد أن تعاش، وستعود إلى لحظة هادئة في ميدان الأوبرا وستعود مرة أخرى وستكون حياً وستعود للكتابة التي تفعلها الآن وهذا جميل. أنت شخص يمر بأزمة وهذا المرور سيعطيك خبرة في التعامل مع نفسك وتمسكك بها، الآن عليك أن تبدأ مرحلة من الصفاء، من الهدوء والانسجام داخل النفس. هيثم صديقك لن يتخلى عنك لأنه يعرف معنى الصداقة ولأن كل كلام له ظروفه ومشاكله وأنت الآن ستقول له، ستحكي له سريعاً عن أزمتك وسيحاول أن يسمعك وهذا جميل.

لا تيأس لأنك تعيش لحظات هامة في حياتك ولأن كل لحظة تعيشها دليل على أنك مليء بالأمل... الأمل يا وائل أنا أحبك وأنت ولد برئ. لم تفعل شيئاً وستعيش، ستعيش لأنك تريد ذلك ولأن ذلك من أبسط حقوقك ككائن بشرى بسيط. الأمور أبسط بكثير من ذلك.

٩٦/١١/٢٢

---

- كل المشاكل ستنتهى لأنها لابد أن تنتهى لأننى لا يمكن أن أستمر فى الحياة بهذا الكم من القلق. سوف يتأكدون من أنك تمر بظروف قاسية وسوف يساعدونك. لابد أن تكون أقوى من ذلك فى مواجهة هذا المرض. أنا أحاول ولكننى فى بعض الأحيان أكون مرهقاً من المشاكل وآلام العلاج. كل هذا سيمر. هذه الأوقات الصعبة ستمر لأن الحياة ستظل دائماً تحمل شيئاً جميلاً. أنا لا أدرى بالتحديد ماذا يحدث لى، أحاول التخلص من هذه الأعباء إلا أنها فى بعض الأحيان تلاحقنى ولكن هذه هى الحياة وهذا جزء من مشاكلها. سوف أتحدث مع الطبيبة النفسية كصديقة وستقول لى مايريحنى. الوقت الأصعب قد مر وسوف تنتهى قريباً من كل هذه الآلام وستحاول أن تعيش حياة سعيدة فى المكان الذى يقدم لك هذه الحياة. حياتك لن تتوقف عند هذه اللحظات يا وائل. هل تتذكر كل اللحظات السيئة فى العام الماضى، لقد مرت وستمر لحظاتك الآن أيضاً وستعيش بعد ذلك ما يجعلك تشعر بأهمية ما تعانيه الآن. لا تيأس .. لا تيأس.. لا تيأس.. لا تيأس. نعم سأكون قادراً على الحياة.

٩٦/١١/٢٤

- فى أحد الأنفاق التى يحفرونها، يصعد رجل فجأة من داخل النفق إلى أرض الشارع.

كنت مريضاً بالسرطان.

● لماذا تتصور فى بعض الأحيان أن هذه الأيام السيئة لن تمضى؟ بل ستمضى وسيأتى يوم تستطيع أن تقدم فيه شيئاً لنفسك وللآخرين. أنت برئ يا وائل من هذا المرض. المرض هل هو خطيئة أم هو كائن غير عاقل يدخل جسدك ويجبرك على أن تتعلم معنى الضعف وأن تكتشف فى داخلك قدرة على الحياة ورغبة فيها. حاول أن تعطى الفرصة للعدل لكى يستتب فى حياتك. أنت شخص يريد الحياة وسيحصل عليها. هل تتذكر حلم والدك يقول لك فيه: سيبك من الكيميو[1]؟ ستحيا يا وائل لأنك تريد ولأن عبد المجيد لم يكن أبداً يريد لك أن تموت. ستعيش لأن حياتك أقوى من موتك، الحياة فى داخلك شاهدتها هذا الصباح تنطلق داخل أنبوب الدم. حياتك فى داخلك تمر بلحظات ألم وهذا ما يدل على أنها «لسه صاحية - بتلعب». سيمضى كل هذا وستعود قادراً على الحديث الهادئ وستعود فى جمال إلى اكتشاف معنى الحياة وستعود لك الشمس وسيعود الأمان بعد أن تقوم من عملية ولادتك الحالية. إن الموت الذى حدث ستعادله الحياة التى تعطيها لنفسك الآن. أنت تريد الحياة وكل لحظة تمر فى جسدك

تؤكد ذلك. حياتك جميلة يا وائل لأنها مليئة بالرغبة فى الوجود. حى يا وائل .. أنت حى.. لابد أن تتأكد من ذلك

(١) لفظ مشتق من الفرنسية يعنى العلاج الكيماوى.

وستكون حياتك نفسها عملاً فنياً تصنعه وتتقابل مع معلى جميل.

٩٦/١١/٢٥

- لا تخف من مرضك وتعامل مع هذا الواقع لكى يتم هضمه. أنت أقوى من هذا المرض.. ليس بالرفض.. وإنما باعتباره شيئاً حدث وعليك مقاومته وعليك أن تقاوم الموت الذى هو شىء لا قيمة له ولن يقدم لك أى شئ. احتفظ بحياتك لا تفكر فى أى لحظة قادمة إلا على أساس أنها لحظة تولد من مقاومتك الحالية. الغد أجمل بكل تأكيد. تمسك بوعيك يا وائل لأنك ستعيش . رغم المرض ومشاكله ستعيش، رغم اليأس ستعيش. لن تموت ولابد أن تقاوم مرضك.. قاومه.. قاومه. قاومه بدون إثبات لأى شىء... فقط تمسك برغبتك فى الحياة.

٩٦/١١/٢٦

- لماذا تفسر المرض بالخطيئة؟ أنت طفل صغير يختبئ داخل بطانيته ومعه إضاءته الخافتة. هناك فارق فى العمر نصف القرن. كان من الطبيعى أن تشعر باختلاف وضعك كطفل عن الآخرين. لم يكن لديك أب شاب بل كهل وهو يحاول رغم ذلك أن يقترب منك لكنه يبتعد وأنت تبتعد ولا تستطيع أن تساعده أو يساعدك إذن لماذا تحاول أن تقنع نفسك بالخطيئة والعقاب؟ المرض ليس له مكان فى جسمك ربما إنه حضر لإحساسك بالعنف تجاه الآخرين. عليك أن تقبل عنفك وأن تتعامل معه وهو لم يكن صنيعة يديك؛ فلقد حدث بمنتهى البساطة أن أصبحت عنيفاً، لكن لا داعى لكى تحمل نفسك عبئاً لست مسئولاً عنه. وما تسميه بضعف الآخرين هو كائن ينسجم داخلياً. عليك أن تفهم أن المرض شىء جائز بدون أى علاقة منطقية لأنه كائن غير عاقل. أنت لست مسئولاً عن الماضى والحاضر ستصنعه وتصنعه معك الظروف المحيطة. مرضك صعب لكنك تقاومه مقاومة فعالة لأنك تحاول أن تقبله كحدث غير مبرر ليس بالضرورة له تفسير منطقى. تخلص من المرض لأنه ليس جزءاً منك فهو كائن إلى الزوال. كل الإمكانيات متوفرة وفى كل الأماكن. تعلم فقط أن تستوعب وجود مخاطر يمكنها أن تحدث لمشاريعك. لا يصح أن تكون مستغرقاً فى قوتك بدون النظر إلى عوامل تاريخك الشخصى. الحياة مازالت تبدأ وستكون حياة جميلة وعليك أن تتمسك بها لأنها فقط هى الموجودة فى داخلك. تذكر دائماً أنه فى ليلة كان القمر موجوداً على الماء وكان هناك رجلان

يمشيان بجواره. كل شيء ممكن يا وائل وأمامك وقت طويل لتستفيد من هذا المرض وتحول الحزن إلى فرح وتمرر هذه التجربة إلى شخص آخر يقرأها وهو يبني عالمه الداخلي. أنت تحاول الآن أن تعرف معنى الحياة. وهناك من يعتقد أنك ستنجح في ذلك. أنت تنجح ببطء والبطء ضروري لأنه هو الذي سيعطيك القدرة على الحياة بعد ذلك. لا تيأس يا وائل وتمسك بالصبر لأنه هو الذي سيعبر بك هذه الأزمة. كل شيء ليس مهماً الآن المهم أن تحيا وتعرف أنك تسعد نفسك وتسعد آخرين يحبونك.

لماذا كل هذا الحزن؟

- بالسم وحده يحيا الانسان.
- وسأعيد الفواتير إلى أصحابها مرفقة بكلمة شكر.
- حبيبتي/ وعدتك بالاحتفاظ بالعظمة التي أخذوها لمشاهدة تطور السرطان. ستكون شوربة لذيذة.
- بعد ثلاث أسابيع من العلاج نقلوني في غرفة أخرى. ولقد وافقت على ذلك لأنها كانت أوسع وبها مطبخ صغير.
- الإهداء: إلى أصدقاء كثيرين عاشوا معي رحلة المرض التي أتاحت لي فرصة التعرف على صديق جديد.
- ملعون هذا الزمن. ملعون هذا المرض الذي جعلني محبوساً في غرفة ذات أربعة جدران. لا أستطيع أن أخرج. لا أستطيع أن

أتمشى. إلا أننى أحسن مما قبل ومعنوياتى قد ارتفعت ويمكنها أن تعير سقف الغرفة.

- ومن طول المرض فى المستشفى، يمكنك أن تستبدل عبارة مثل «ذهبت إلى الحمام» بأخرى تقول فيها مثلاً «ذهبت إلى زجاجة التبول البلاستيكية الموضوعة بجانب السرير». أنا مسرور لأننى هنا بصدد خلق لغة جديدة.
- ومسموح لكل المرضى فى الدور الـ ١١ أن يصعدوا لأن الطب لم يتقدم بعد التقدم الكافى إلا أنه ممنوع عليهم الخروج من غرفهم خوفاً عليهم من الميكروبات(١).
- ولأن اليوم عيد لا يقومون بسحب الدماء منى.
- أنا أزرق . ووضعوا رأسى المصلوبة بين أيديهم. كنت أفكر فى الانتحار ولكن هذا التفكير أعاقنى عن ابتكار وسيلة للانتحار. الشباك أبيض جميل والسماء رمادية. الشباك له تندة مائلة تسهل الانحدار. أنظر إليه أياماً. سيقذفنى إلى منتصف الشارع. أرغب خاصة فى تفادى المارة لكى لا يصابوا. السيارات يمكنها أن تحتملنى. أنا رغم كل شيء إنسان لا يحب الشر للآخرين.
- لماذا أنا؟ (البحث البوليسى).
- كنت أشعر بالضياع وبالانقسام الداخلى لدرجة أننى أحسست

(١) كان الدور الـ ١١ هو الدور الأخير بالمستشفى.

للحظة أن أذنى اليمنى تسمع صوت الماء فى الحوض بينما اليسرى تسمعه فى المواسير.

- الشجاعة الحقيقية تبدأ عندما تكون خائفاً ولكنك تعرف قوة سُمك وتعرف قوة الأسد. ولكن ضميرك المؤمن بالخرافة لا يتركَك وهناك من هم قليلو الخبرة. وأنا من برج الأسد. أنا مرتبك.
- فى النهاية إن الكيماوى عبارة عن سم متْعَاير مطلوب منه أن يقتل السرطان بأسرع ما يمكن ويمكنه أيَضاً أن يقتلك بسرعة أقل.
- ظللت أتساءل هل هناك ألم خاص بالبشر لا تعرفه الأشياء أو الحيوانات؟ ألم آدمى؟ لا أعتقد فقد عشت آلاماً معدنية فى رأسى.
- كنت ومارى نجرى فى دهاليز المترو وسمعت صوتاً بجوارى. «ما تقلقش، حتقعد فى الطيارة زى ما تكون قاعد فى قطر وحيفوتوا الأربع ساعات وحتلاقيهم مستنيينك فى المطار». كانت مارى...

تم احتجازى فى المستشفى.

- كنت أدرك جيداً كونى مريضاً فوق العادة. غير أنى كنت أعتاد على أشياء كثيرة.
- لماذا أكتب؟ هل لأننى أقوم ببحث بوليسى ما؟ ألا أخاف من اللعنة؟ أم أن قانون نيوتن عن الفعل ورد الفعل المساوى

والمعاكس فى الاتجاه تملكنى؟ فهذا هو ما حدث فى واقع الأمر:
دخلت فى البداية عالم السرطان وواجهته على الورق لأنى لم أكن قد واجهت جسدى حتى تلك اللحظة. فقام السرطان برد فعل بسيط:. دخلنى. إلا أننى سأستكمل هذه المحاولة لأن ما حدث لم يكن بسيطاً.

- لم يكن بلوتو يستطيع أن يستوعب كون الآخرين يجدون أن ما يكتبه بلا قيمة رغم أنه كان يحمل تليفوناً بدون سلك.

- وبدأت أنتبه إلى ضوء سيارة ضعيف يمكنه أن يصعد إلى الدور الحادى العشر حيث أنا بينما أنا بحاجة للأسانسير.

- مفردات حياتى:

الدولاب الذى يبدأ يومى بالظلام ويفصل بينى وبين الشباك ذى الضوء الرمادى.

- مارى.

حياتى.

## «مارى»

# وكلمات محدودة عن مرض طويل[1]

والغرفة المضاءة فى الدور الأول. وليلة حزينة أخرى. والغرفة المظلمة فى الدور الأول. وانهيار كامل.

**

وأصابتنى حالة من البطيخ. من اللحاء الأحمر القانى. من اللب الأسود تماماً. وأدركت أننى استويت.

**

(١) هذا النص هو آخر ما كتب المؤلف قبل وفاته بأيام قليلة.

وأستطيع التعامل مع البشر الآن واحداً واحداً لأنهم كانوا يدخلون علىّ هكذا فى الغرف المعقمة.

**

كم مرة يا «دومينيك رافيل»[1] جلست على الأرض بجانب سريرى لكى تشاركينى الدموع. لن أنسى طراوة يدك المريتة. ولن أنسى ميزانك الذى كان يقول لك عندما تصعدين عليه: «شخص واحد فقط كل مرة».

**

وكنيسة «سانت امبرواز» الرقيقة والديك المعدنى. وقهوتنا الصغيرة يا «مارى». وتضعين قدمك الشرابية على فخذى وأغطيها بقبعتى. ونضحك ونتذكر اللحظة الأولى.

**

ومن ليلة إلى أخرى أنجح فى التخلص ثم يصيبنى الألم ثم أنجح فى النوم. وفى الصباح أستيقظ على رمادى جديد يدمر حياتى.

**

القاهرة - يونيو ١٩٩٧

(١) إحدى الممرضات بالمستشفى الذى كان المؤلف يتلقى به العلاج فى باريس.

المحتويات

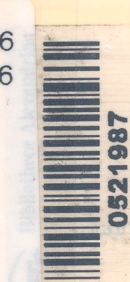
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٦٣٨ / ٩٩

I . S . B . N 977 - 01 - 6520 - 4

مـا بين أغـسطس ١٩٧٠ ويونيـو ١٩٩٧ أهل علينا وائل رجب بموهبته الكبيرة التى مثل كل المواهب المشتعلة لم تجد فى الأرض ضالتها ففارقتها بسرعة. لمع وائل رجب وبسرعة انطفأ كشهاب رائع مُخلِفاً رواية جميلة وعدداً من القصص الفاتنة كان يمكن لها لو طال به العمر أن تحفر لنفسها طريقها الخاص الذى يثرى حياتنا الأدبية. عمل وائل رجب محرراً فى الأهرام الفرنسى وحصل على دبلوم الترجمة من جامعة السوربون عام ١٩٩٦ وكان يعد دراسة فى فرنسا عن الفن التشكيلى فى العصور الوسطى، لكن لم يطل به الأجل لننعم بهذا الانجاز.

إن كتابات جديدة كان يهمها جداً أن تهدى هذه الأعمال إليه شخصيا لكنه كان الأكرم فأهداها لنا.




مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٠٠ قرش